مطبوعات المجمع العلمي العراقي

تاريخ التفسير

الشيخ قاسم القيسي

مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م

تفسير

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

تاريخ التفسير

الشيخ قاسم القيسي

مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م

المقدمة

الشيخ قاسم القيسي

بقلم

اللواء الركن محمود شيت خطاب

١ — مستهل :

رأيت من المناسب كتابة مجمل لسيرة المرحوم الشيخ قاسم القيسي مؤلف هذا الكتاب لتكون مقدمة للكتاب ، ولتعرف الأجيال القادمة قصة حياة هذا الشيخ الجليل .

وقد اعتمدت في كتابة سيرته على المصادر المدوّنة في آخر البحث ، ولعلّ هذا البحث يكون النواة الأولى للذين يريدون التوسع في كتابة سيرته في المستقبل .

٢ — مولده وشيوخه :

ولد المغفور له الشيخ قاسم القيسي سنة (١٢٩٣) ثلاث وتسعين ومائتين وألف للهجرة النبوية الموافق سنة (١٨٧٦) ست وسبعين وثمانمائة وألف لميلاد المسيح .

ولما بلغ (السابعة) من عمره ، سلّمه والده إلى مدرسة أهلية لقراءة كتاب الله المجيد ولتعلّم الكتابة العربيـــة ، فختم القرآن الكريم وتعلم الكتابة العربية بسرعة ، وذلك بتثقيف والده ورعايته له مع معلّمه ، حتى برع في الكتابة وحسن الخط .

وانتقل بعد ذلك إلى مدرسة أهلية أخرى ليدرس فيها اللغة التركية والفارسية ، وذلك عند (منيف أفندي) أحد أرباب القلم المشهورين في شارع الميدان من بغداد ، وبقى في

هذه المدرسة بضع سنين وكان يدرس أثناءها في الخارج بعض العلوم العربية .

وفي سنة (١٣٠٣) ثلاث وثلاثمائة وألف للهجرة تجرَّد لطلب العلم على علماء بغداد المشهورين،فدرس الخط والنصيب على الشيخ (عبدالمحسن الطائي) مدرس الحيدرية ، فتوجه إليه شيخه بكليته ، ولم يأل جهداً في تربيته ، فكان يخرج اليه للتدريس قبل الفجر بساعة في البرد الشديد من ليالي الشتاء ، لما توسّم فيه من الخير المقبل ، وكان درس الأستاذ يستغرق ثلاث ساعات ، فلا ينتهي الدرس إلا والشمس مرتفعة . وكان مما قرأه على الشيخ المومى اليه : علم (الصرف) بأجمعه في المتون والشروح ، وعلم (المنطق) متونه وشروحه وحواشيه ، وقسم من علم (النحو) وعلم (الكلام) و (التصوّف) .

ثم شرع في القراءة على الشيخ المغفور له (عبد الوهاب النائب) رئيس محكمة التمييز الشرعي في العراق ، فابتدأ بكتاب (مغنى اللبيب) ، وبالرسائل المتعلقة بـ (الجادة) من علم (الوضع والبيان) وعلم (المناظرة) وعلم (المعاني) بمختصر (المطوّل) و (المطوّل) وحواشيه . وقرأ عليه ايضاً (الدُّرَر) و (الدرّ المختار) ، ومن أصول الفقه قرأ شرح (ابن ملك على المنار) و (التلويح والتوضيح) و (جمع الجوامع) و (مختصر المنتهي) .

ومن شيوخه العلامة (غلام رسول) ، فقد قرأ عليه (خلاصة الحساب) و (أشكال التأسيس) و (إقليدس) في الهندسة وشرح (النسفية) مع حاشية (الخيالي) و (عبد الحكيم) ، و (المواقف) في علم الكلام ، و (تشريح الأفلاك) و (الجغميني) في علم الهيئة .

وقرأ على غير هؤلاء الشيوخ ، مما يطول ذكره .

وقد حفظ المتون في سائر الفنون ، فكان القاريء عليه في أي علم يجد فيه الكفاية والتحقيق للغاية لما فيه من الاختصاص والدراية بكل فن ومنذ قراءته على مشائخه حتى مفارقته الحياة الدنيا ،تجده مقصد الطلاب، فاتحاً أبوابه لهم، شفيقاً على طلبة العلم،عاكفاً على مطالعة

الأسفار ، لايسأم من الدرس والتدريس .

وقد أجيز الشيخ القيسي من شيخه الاستاذ عبد الوهاب النائب بإجازة خاصة في الحديث وعامة . وكذلك أجازهُ مدرِّس الحضرة القادرية المغفور له الشيخ عبد السلام الشوّاف بإجازة خاصة وعامة ، وله إجازات أخرى من مشائخ آخرين في العلوم العقلية والنقلية .

٣ — مناصبه :

عين الشيخ القيسي في سنة (١٣١٧) للهجرة مدرِّساً لقضاء (خانقين) ، بعد أن نجح بتفوّق على أقرانه في الامتحان ، فبقي في ذلك القضاء نحو سنة مدرساً وواعظاً ومرشداً ومفتياً في البلدة المذكورة ولمن حولها من المدن والقرى .

وعاد بعد ذلك إلى بغداد ، وأخذ يدرِّس لتلاميذه مبادئ العلوم ، وكان من تلاميذه حينذاك الشيخ عطاء الله الخطيب والشيخ حسن النائب والشيخ علاء الدين النائب .

وفي سنة (١٣١٩) للهجرة ، عُيِّن لقضاء (الصويرة) ، وفي سنة ١٣٢٦ للهجرة ، طلبه والي بغداد برقياً للقدوم إلى بغداد أيام تنسيق الحكّام ، وكلّفته لجنة التنسيقات بقبول (نيابة الباب) في بغداد ، فلم يقبل ذلك معتذراً ، غير أن لجنة التنسيقات رجته مرة ثانية بأن يقبل هذا المنصب، فقبل ذلك كرهاً لمدة موقتة ، لأنه كان لا يميل إلى القضاء ، وما زال يسأل إعفاءه من ذلك المنصب ، إلى أن عين غيره في مكانه .

وفي سنة (١٣٢٧) للهجرة ، عُيِّن عضواً في (مجلس المعارف) في بغداد ، فبقي مدة قليلة وطلب إعفاءه من هذه الوظيفة أيضاً ، لاشتغاله بما هو أولى وأهم من ذلك : التدريس، وبثّ العلم . وقد عُيِّن عِضْواً (للمجلس العلمي) في الأوقاف وذلك في زمن مديرية المفتي المغفور له (سعيد الزهاوي) بترغيب منه ، معرفقة أمجاد كالمغفور له الشيخ ابراهيم الراوي والشيخ شمس الدين الآلوسي ، فبقي في هذه الوظيفة عدة سنين .

ثم عين مدرساً لتدريس (الولاية) في بغداد ، وعين أيضاً بإلحاح وترغيب شيخه

النائب والعلامة شكري الآلوسي والحاج علي الآلوسي مدرساً لدار المعلمين ، ولكنه طلب إعفاءه من هذا المنصب بعد أن بقي فيه تسعة أشهر ، فأجيب إلى طلبه .

ثم عُيِّن عضواً في (مجلس التمييز الشرعي) ، فلم يرق له هذا التعيين ، إذ طلبوا منه الاستقالة من عضوية المجلس العلمي ، فأبى وترك مجلس التمييز الشرعي واختار البقاء في المجلس العلمي في الأوقاف .

وفي سنة ١٩٢٢ م طلب منه مرة ثانية قبول عضوية مجلس التمييز الشرعي ، فقبل ذلك وبقي مواظباً على وظيفته هذه حتى سنة ١٩٢٨ م ، مع بثه الإرشاد بين الناس ، وتدريسه لطلبة العلوم التي هي ديدنه وسيرته .

وحين توفاه الله كان الشيخ القيسي مفتياً لبغداد وخطيباً للحضرة الكيلانية ورئيساً لجمعية الهداية الإسلامية .

٤ — تحصيله العلوم :

كان المغفور له حريصاً على العلم ، وكان في بدء أمره يجتهد عند أهله في البيت ، فكان والده يأمرهُ بالنوم ولا يحبُّ له السهر الكثير شفقة عليه ، فكان الشيخ القيسي يأبى إلا السهر الطويل المتواصل مجتهداً باحثاً ، فعاتبه أبوه ولامه ، لذلك انحاز الشيخ القيسي إلى جامع الفضل اختياراً للتفرّغ الكامل للعلم وحده ، وحرصاً على الاستزادة من العلم دون تقييد .

وكان في أيام تحصيله العلوم يدأب على حفظ المتون ويؤلف بعض الكتب ويدرِّس للطلاب ، فكان له طلاب كثيرون بمقدار طلاب شيوخه ، يميلون للدرس عليه لشفقته ، وسعة صدره ، وحسن تربيته ، وصبره الجميل، وربما قضى في تدريس الدرس الواحد من بعد صلاة العصر إلى المغرب ، وكان لاينام غالباً إلا إذا أنهكه السهر ، وربما وقع الكتاب من يده وهو في إغفاءة قصيرة .

كان الشيخ القيسي يذهب إلى دار شيخه النائب بأمر منه في زمن الشتاء ، حتى يخرج

به إلى مدرسة (منورة خاتون) وقت السحر ويقرأ عليه الدرس ويتمّه ويرجع لصلاة الفجر في جامع (محمد الفضل) ، وهذا علامة النشاط من الشيخ وتلميذه .

وكان شيخه يعتمد عليه كثيراً ، وكانت له عند شيخه منزلة كبيرة لعلمه وحسن أخلاقه ، حتى أن شيخه أودع جميع أنجاله اليه ليدرس لهم .

وقد وعظ الشيخ القيسي سنتين في حياة المرحوم الشيخ محمد سعيد النائب في جامع (الفضل) إمتثالاً لطلب الشيخ محمد سعيد ورغبةً في برّه ، فكان المغفور لهما عبدالوهاب النائب وشقيقه محمد سعيد النائب يجلسان لاستماع موعظته ، كما أنهما رغبا اليه أنْ يخطب في (التكية الخالدية) ليصغيا لخطبته ، وربما سئل أحد مشايخه سؤالاً علمياً فأحال الجواب اليه .

وقد اعتنى والده المرحوم أحمد الفرضي بما ينشطه في السعي والاجتهاد في طلب العلم ، فجلب له الكتب النفيسة من أقصى البلاد البعيدة عن بغداد : من الشام ومصر والهند والاستانة ، كما مهّد له أسباب التفرّغ للعلم وحده من النفقة واللباس ، كما أن والده درّس له الفقه والحديث والتفسير ، وحفّظه الأربعين النوويّة ومتن الرحبية في الفرائض والسراجيّة ، فصار إماماً في الفرائض والحساب ، حتى إذا حدثت قضية فرضية ووقع الاختلاف فيها ، بعث اليه الشيخ علي المدرس وأمين الفتوى في بغداد يستفتيه في المسألة ليرى الراي القاطع فيها ، وفي بعض الأحيان يستفتيه ثم يستفتي المشيخة الاسلامية في الأستانة ، فيرجع الجواب منها بعين ما أجاب به الشيخ .

وكثيراً ما كان يرسل اليه المغفور له الشيخ عبدالوهاب النائب رئيس المحكمة الشرعية ببعض الدعاوى المهمة ليرى رأيه فيها ، مع أن الشيخ النائب كان شيخ أهل العلم ، وما ذاك إلا اعتماداً على الشيخ القيسي لما له من مزيد الاختصاص في هذا العلم ، حتى صار مشهوراً في بغداد وخارجها ، وكان يُقْصَدُ من سائر النواحي والجهات لأخذ رأيه في قسمة التركات .

لقد كانت له قابلية فَذَّة في فهم وتفهيم أخفى المسائل العلمية .

٥ — نثره وشعره :

لعلّ خير ما يمثِّل نثر الشيخ القيسي، هو هذا الكتاب « تاريخ التفسير » الذي تبلور فيه أسلوبه النثري فأصبح واضحاً سهلاً ممتنعاً بعيداً عن التكلّف والمحسنات اللفظية التي كانت شائعة في أيامه .

أما شعره ، فمن الأمثلة عليه ، ما نظمه مخاطباً شيخه عبد الوهاب النائب ، فقال :

أيا علّامة الآفاق يا من ... جلا بعلومه أخفى المسائل
ويا روض الأماني دون ريب ... ويا بحر المعاني دون ساحل
ويامن كان للعافين غيثاً ... يسحُّ عليهمُ درر المسائل
يراعك إن جرى يوماً بفنٍ ... أرى السحر الحلال بأرض بابل
فما قسّ بن ساعدة الأيادي ... وماقيس وما سحبان وائل..الخ

وكتب اليه الرصافي ذاكراً عهوداً خلت مع الشيخ القيسي ، فقال :

إذا قاسم القيسي مرّ بخاطرى ... تذكرت عهداً في الصبا مَرَّ كالحلم
تذكّرت إذ قد كنتُ للعلم طالباً ... بفكر وسعيٍ مجهد النفس والجسم
فقد كنت أحياناً أزور فناءه ... وأنتابه للرشف من منهل العلم
وكم زرته في جامع الفضل راجياً ... شفاء لما في مدنف الفهم من سقم
إذا جئته يوماً نَثَلْتُ كنانتي ... فثقّف منها كل مااعوجّ من سَهْم
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت ... بلقياه عني غمّة الغرم بالغنم
هُوَ العالم الحبر الذي من يُلذ به ... يكن فائزاً بالعلم والأدب الجمِّ
بما شاء في التوضيح من واقد الذكا ... وما شاء في التقرير من صادق الحكم
وما شاء من نصح بليغٍ ومن هدى
وما شاء من خلق نزيه ومن حكم

بقية أعلام مضوا وكفى بـه　　من العلم طوداً فوق أطواده الشمِّ
له نظر في غامض العلم نافـذ　　ورأي سديد لا يحوم على الوهم
إذا ما نحا في العلم قتل عويصة　　رماها بسهم من فطانته مُصْمِ
نماه أبوه الشـــهم أحمد لِلعُـلا　　فبورك في الآباء من والد شهم
وكان بتقسيم المواريث بارعاً　　ينيف بها رأياً على ثاقب النجم

فأجابه الشيخ القيسي من ذلك البحر والروى بقوله :

لقـد طرقت سمعي على حين غفـلة　　ألوكة نظـم زلزلت جحفـل الفم
وكنتُ عليل الفـكر منتهك القوى　　فصرت بها جذلان لم أشك من سقم
لأفصح أهل الشعر حقاً ومن غدت　　له الشهرة العظمى لدى العرب والعجم
ومن قد حوى من كلِّ مجدٍ لبابه　　وفاق على من فاق في النـثر والنظم

وهي في ثمانية عشر بيتاً :

وله قصائد كثيرة أكثرها من شعر المناسبات

٦ — مؤلفاته ورسائله وتعليقاته :

ألّـف الشيـخ القيسي عدداً من الـكتب العلمية الثمينـــة ، وقد طبع منها أثناء حياته الـكتب التالية :

١ — الحديقة الندية في المواضيـع التفسيرية .

٢ — رسالة في مصطلح الحديث .

٣ — النزهة البهية في شرح الأربعين النووية .

٤ — الزهر اللطيف في مسالك التأليف .

٥ — تحفة الأدباء في الخط والأملاء .

أما الكتب والرسائل التي لم تطبع بعد فهي :

١ — السراج المنير في أصول التفسير (تجاوز ٦٠٠ صحيفة) .

٢ — تاريخ التفسير (وهو هذا الكتاب) .

٣ — الأقوال الشارحة لسورة الفاتحة (تجاوز ١٤٠ صحيفة) .

٤ — إتحاف الألبّاء في قضايا الإفتاء .

٥ — الروض النضر في مناقب سيدي أبي العباس الخضر (عليه السلام) .

٦ — رسالة في آية الوضوء .

٧ — القول المبرم في عيسى بن مريم .

٨ — الغيث النافع في حقيقة التابع .

٩ — الاتحاف في مواد الأوقاف .

١٠ — رسالة في معرفة الخصوم .

١١ — رسالة في تناقض الدعوى .

١٢ — رسالة الاعتدال في مسائل الاستبدال .

١٣ — رسالة في المخرجين للأحاديث .

١٤ — مرشد الإخوان إلى تربية الصبيان .

١٥ — يانع الغصن في تفسير سورة لم يكن (وهي سورة البينة) .

١٦ — الشراب السلسل في نحل العسل .

١٧ — رسالة في صوم رمضان .

١٨ — رسالة في الحج ومتعلقاته .

١٩ — رسالة في الزكاة وأبحاثها .

٢٠ — رسالة في صدقة الفطر .

٢١ — رسالة في تفسير : والعصر إن الإنسان لفي خسر .

٢٢ — رسالة في تفسير : إنا أعطيناك الكوثر والأضحية .

٢٣ — رسالة في تفسير « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » .

٢٤ — رسالة في تفسير قوله تعالى : إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، « بحث في الاستقامة » .

٢٥ — رسالة في تفسير قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء » (الأمة المحمديّة) .

٢٦ — رسالة فيقوله تعالى : إذا قمتم إلىالصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلىالمرافق .

٢٧ — وسالة في قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلىالخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » (الأمر بالمعروف) .

٢٨ — رسالة في قوله تعالى : إن الله وملائكته يصلّون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

٢٩ — رسالة في قوله تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين .

٣٠ — رسالة في قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (في الأمانة والظلم وردّ الظلم) .

٣١ — رسالة في قوله تعالى : الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بَعْض ٍ وبما أنفقوا منأموالهم، فالصالحات قانتات حافظات (الوصية بالنساء).

٣٢ — رسالة في تفسير الحديث الشريف : من سنّ سُنّة حسنة .

٣٣ — رسالة في قوله تعالى : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ، وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجّداً .

٣٤ — رسالة في الماهية البسيطة والمركّبة .

٣٥ — رسالة في تفسير قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً .

٣٦ — رسالة في تفسير قوله تعالى : أرأيت الذي يكذب بالدين ... السورة .

٣٧ — رسالة في ضبط الكلمات والحروف .

٣٨ — رسالة (الاحتساء في رصد سورة النساء) ؛ تفسير قوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ... الآية .

٣٩ — رسالة (نشر الزهر في معرفة الفجر) .

٤٠ — رسالة في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ — وفاته :

توفي الشيخ القيسي في الساعات الأولى من صبيحة يوم الأحد (٢٧ محرم الحرام ١٣٧٥ هـ) ١١ أيلول ١٩٥٥م فكان لنعيه رنة حزن وأسى ليس في العراق فحسب بل في كل بلاد العرب وديار الإسلام .

وكان يوم تشييع جثمانه الطاهر في بغداد يوماً مشهوداً ، فقد استفاقت العاصمة يوم الأحد (٢٧ من المحرم عام ١٣٧٥ هـ) ١٩٥٥/٩/١١ على نعي الشيخ القيسي مذاعاً من محطة إذاعة بغداد ، فطفقت الجموع تتحاشد على دار الفقيد في الأعظمية ، وتوقفت دار الإذاعة عن إذاعة برامجها واقتصرت على إذاعة القرآن الكريم والتواشيح والأحاديث الدينية .

وما أن علمت الجماهير بأن موعد تشييع الجثمان سيكون في الساعة الخامسة مساءً من

يوم الأحد الذي توفي فيه ، حتى سارعت إلى داره ، من مسؤولين ووفود المحلات وهي تحمل الأعلام والرايات والدفوف مهللة مكبرة مجهشة بالدمع . وما أن حانت ساعة تشييعه ، حتى تلقفت الجماهير النعش وأبت أن ينقل إلا على الأعناق . مع شدة الحر وطول المسافة بين بيت الفقيد في الأعظمية ومقرّه الأخير في الحضرة الكيلانية ، فكان للجماهير ما أرادت .

وسارت بالنعش يتقدّمها رجال الدين مخترقة شارع الإمام الأعظم ، حتى وصلوا إلى جامع الإمام الأعظم ، حيث صلّت الجماهير على الفقيد ، ثم سارت صوب باب المعظم ، وظلت الجماهير تتكاثر كلما قطع المشيعون قسماً من أقسام الشوارع التي تصل الأعظمية ببغداد . وما أن وصل المشيعون إلى باب المعظم حتى اشتركت معهم الجموع الحاشدة التي كانت تنتظر النعش هناك ، فأغلقت المقاهي والحوانيت ، وقطع الناس أعمالهم للاشتراك في هذا التشييع الكريم أما وسائل النقل فقد حال إزدحام الشارع بجمهور المشيعين دون تدفقها ، وكانت الجماهير تردد في سيرها شتى الأذكار والأدعية الدينية ، وقد استغرق سَيْرُ الموكب من الأعظمية إلى الشارع المؤدي الى الحضرة الكيلانية أكثر من ثلاث ساعات .

وفي الحضرة الكيلانية تتابع قادة الفكر لتأبينه ، ثم نقل النعش إلى المقبرة حيث ووري في التراب بين الحسرات والدموع .

وأقيمت الفواتح عليه في مختلف الأماكن (١) ، وأقامت جمعية الهداية الإسلامية حفلة تأبينية كبرى بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته . كما أبّنه كثير من الشعراء والأدباء شعراً ونثراً .

---

(١) من تلك الفواتح : فاتحة جمعية الهداية الاسلامية ، وجمعية رابطة العلماء ، وجامع الوشاش وجمعية الآداب الاسلامية ، وشباب باب الشيخ ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الآداب الاسلامية فرع قبر علي وجامع ملا حمادي ، وجامع الامام أبي يوسف ، ومحلة الرحمانية ، وجامع الشابندر بمدينة بعقوبة ، والجامع الكبير في المقدادية ، وجامع أهالي العزيزية وجامع محمد الفضل في بغداد ... الخ .

لقد كان موت الشيخ القيسي خسارة كبيرة لا تعوّض للعلم والعلماء ، وقد عبّر الشعب عن لوعته في تشييعه إلى مقرّه الأخير بشكل لم يسبق له مثيل حتى لذوي الجاه والسلطان ، كما عبّر عن لوعته بلسان شعرائه وكتابه وصحافته ، لأن الرجل كان ذا مكانة مرموقة بين الناس استحقّها بما بذله من جهد مشكور وسعي حميد في سبيل العلم ، ولما كان يتحلى به من خلق كريم وتديّن وورع .

لقد كان بارعاً في علم الفرائض والأصول ، بارعاً في كل ما يتعلق بأصول الفقه ، معنياً كل العناية بالحديث والتفسير وبالأدب واللغة والشعر .

وبالرغم من إنصرافه إلى التدريس والإرشاد ، فأنه لم يتوان عن خدمة الدين الحنيف بالمشاركة في تأسيس عدد من الجمعيات الدينية وبخاصة جمعية الهداية الاسلامية التي كان يتولى رئاستها بأسلوبه الحكيم وإدارته الرشيدة .

وإذا كان الشيخ القيسي قد فارق الحياة ، فإن مؤلفاته ستبقى حيّة إلى الأبد ،مفيدة للعلماء والطلاب ، موجّهة للخير ، مقوّمة للأخلاق ، داعيةً إلى الله .

ولعل هذا الكتاب الذي ستقرأه ، خير دليل على ما نقول .

مصادر البحث

١ — تاريخ الشيخ قاسم القيسي : بقلمه وبخط يده .
٢ — الصحف العراقية الصادرة بالتواريخ المؤشرة أزاءها :
ا — الأخبار : ١٩٥٥/٩/١٣ و ١٩٥٥/٩/١٤
ب — البلاد : ١٩٥٥/٩/١٢ و ١٩٥٥/٩/١٣ و ١٩٥٥/٩/١٦ و ١٩٥٥/١٠/٢٣
ج — الحوادث: ١٩٥٥/٩/١٣ و ١٩٥٥/٩/١٥ و ١٩٥٥/٩/١٩
د — الحرية : ١٩٥٥/٩/١٢ و ١٩٥٥/٩/١٣ و ١٩٥٥/٩/١٤ و ١٩٥٥/٩/١٥
هـ — الزمان : ١٩٥٥/٩/١٢ و ١٩٥٥/١٠/٣
و — الشعب : ١٩٥٥/٩/١٢ و ١٩٥٥/٩/١٦ و ١٩٥٥/٩/١٨ و ١٩٥٥/٩/١٩
ز — اليقظة : ١٩٥٥/٩/١٧ و ١٩٥٥/٩/١٨

٢ ـ مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي الى بابه، المنعم على عباده بانزال كتابه ، فمنهم البعيد عن فهمه ومنهم الفقيه النابه ، ومنهم الضال ومنهم المتمسك بالهدى وأسبابه ، والصلاة والسلام على من بيَّن احكام الكتاب للناس وأصحابه ، وخفف عن الامة بمراجعته ليلة أسرى به، وعلى آله المتبعين لسننه وآدابه ، واصحابه الجاعلين جند الكفر محاطاً بخسرانه وتبابه ،صلاةً وسلاماً دائمين مازها الروض بالغيث وربابه. أما بعد فهذه رسالة جليلة وتحفة نبيلة في بيان تاريخ التفسير، وما عراه من عصر الرسالة الى عصرنا من الادوار والتغيير، الفتها لتدريس الطلاب في دار العلوم ، وسع الله منهم المدارك والفهوم ، ونسأل الله ان يكشف الغمة عن الأمة ، ويدفع عنهم كل كربة ومدلهمة، وأن يجعل هذه الرسالة للطلاب تبصرة ، وللأحباب والاخوان تذكرة ، إنه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير ، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت واليه أنيب .

قاسم القيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ — معنى تاريخ التفسير

التفسير لغةً :

اما التفسير لغة فمأخوذ من السفر بالاشتقاق الكبير كجبذ من الجذب ومعناه الكشف والظهور، يقال: أسفر الصبح إذا ظهر، وأسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته، أومأخوذ من فسر يفسر كنصر ينصر، والفسر الإبانة أوكشف المغطّى، تقول: فسرت الشيء إذا بينته .

التفسير اصطلاحاً :

وأما التفسير في اصطلاح العلماء فانه يطلق على معنيين :

المعنى الأول : التفسير الذي هو قسم من أقسام البديع الراجع الى المحسنات المعنوية، ويراد به عندهم أن يأتي المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم بادراك خواد ما لم يفسره كلام آخر بعده كما في قول الشاعر ابن الرومي .

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم ... في الحادثات إذا دَجَوْنَ نجومُ

منها معالم للهدى، ومصابح ... تجلو الدجى، والأخريات رجوم

وهذا المعنى غير مراد في هذا المقام .

والمعنى الثاني : هو ما نقصده في كلامنا وقد كثر كلام العلماء في شرح ماهيته فقال بعضهم : هو علم بأصول يعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها ..

ومثله قول الرازي : هو ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى .

وعرفه أبو حيان في تفسيره المسمى بالبحر المحيط وأدخل فيه علم التجويد والقراءات بقوله: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمات لذلك .

فقوله : (علم) جنس يشمل سائر العلوم ، وقوله : (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هذا هو علم القراءات ، وقوله : (ومدلولاتها) أي مدلولات تلك الألفاظ ، يدخل فيه علم اللغة الذي يحتاج اليه في هذا العلم ، وقوله : (وأحكامها الافرادية والتركيبية) يشمل علم التصريف وعلم الاعراب وعلم البيان وعلم البديع ، وقوله : (ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز ، فان التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ، ويمنعه عن الحمل عليه مانع ، فيحمل على غيره ، وهو المجاز ، وقوله : (وتتمات لذلك) هو مثل النسخ ، وسبب النزول ، وقصة توضح بعض ما انبهم من القرآن ، ونحو ذلك .

وقد عرفه الزركشي بأخصر من هذا التعريف بقوله : علم يفهم به كتاب الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعانيه ، واستخراج احكامه وحكمه .

وقد دقق العلامة الفناري في هذه التعريفات ، ولم يرتضها لعدم جمعها ومنعها ، واختار للتفسير تعريفاً آخر فقال : هو معرفة أحوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ، ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن انه مراد الله تعالى ، بقدر الطاقة البشرية .

وسبب اختلافهم في التعريفات التي مرت ، أنهم اعملوا الفكر ليكون التعريف جامعاً مانعاً ، ولكن هذا العلم لكونه ينطوي في تضاعيفه مسائل ، ومسائل من علوم شتى ، يدخلها بعضهم فيه ويخرجها بعضهم منه ، وهي داخلة في حدود غيره من العلوم ، لا تكاد تجد تعريفاً جامعاً لمسائله مانعاً من دخول غيره فيه ..

وأما التاريخ لغة فهو تعيين الوقت مطلقاً يقال: أرخت الكتاب تأريخاً بمعنى وقّته ، ويقال:

ورخته توريخاً بالواو أيضاً . ويقال تاريخ بالألف المبدلة من الهمزة الساكنة بعد الفتح نحو راس ، ومثل لفظ التاريخ في جواز الوجوه الثلاثة التأكيد بالهمزة والتوكيد بالواو من أكد ووكد والتأكيد بالألف المبدلة .

وأما عرفاً فهو تعيين وقت ينسب إليه زمان يأتي عليه أو مطلقاً سواء كان ماضياً أو مستقبلاً ، وقيل هو تعيين الوقت باسناده إلى أول حدوث أمر شائع من ظهور ملة أو دولة ، أو امر هائل من الآثار العلوية والحوادث السفلية مما يندر وقوعه ، جعل ذلك مبدأ لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث والأمور التي يجب ضبط أوقاتها في مستأنف السنين ، وقيل عدد الأيام والليالي بالنظر الى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما بقي .

وعلم التاريخ : هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم ومواليدهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك من الحوادث والوقائع التي من أفرادها الولايات كالخلافة والامارة والوصاية والتمليك والإستيلاء على البلاد واستخلاصها والغلاء والطواعين .

وموضوعه : أحوال الاشخاص الماضية من الأنبياء والعلماء والحكماء والملوك وغيرهم . والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية .

وفائدته : العبرة بتلك الأحوال والاتعاظ بها ، وحصول التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ، ويستجلب نظائرها من المنافع ، وهذا العلم كما قيل ، عمر آخر للناظرين ، وبه يؤمن من الوقوع في المغالط والزلات ، ومن قبول الخرافات والترهات والمستبعدات ، وبه يستخرج دسائس الكاذبين ، وأباطيل الفاسدين المخادعين ، كما ذكر العلامة الصفدي ، ان بعض اليهود أظهر كتاباً ادعى فيه انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ، فعرضه على الحافظ أبي بكر الخطيب في بغداد فتأمله وقال : هذا مزور فقيل له من أين لك هذا ؟ قال : « فيه

شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة وفتوح خيبر سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات يوم بنى قريظة سنة خمس قبل خيبر بسنتين » ، وكثيراً ما يقع للمؤرخين والمفسرين المغالط في الوقائع والحكايات لاعتمادهم على مجرد النقل غثاً أوسميناً دون تحقيق للروايات، ولذا قيل: ان هذا الفن محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق والصواب .

والمراد من التاريخ الذي نحن بصدده في هذا المقام شيء خاص وهو (تاريخ التفسير) أعني الأدوار التي طرأت عليه وتقلبت فيه من لدن صدوره عن صاحب الرسالة (ﷺ) إلى أن وصل الينا ، من حفظ في الصدور، وتدوينه في الصحف والسطور، وكيفية تصنيفه وترتيبه، حسب الأذواق والمشارب ، وبيان تاريخ ما ألف في فنونه بمقتضى اختلاف المسالك والمذاهب، الى غير ذلك مما سيأتي ان شاء الله تعالى .

٤ — في ذكر تقسيمات ثلاثية تتعلق بما يأتي من المواضيع المقصودة بالذات

(١) اصناف المفسرين .

قبل شروعنا في مقصودنا نقدم لكم فصلاً نبين فيه تقسيمات مفيدة بحيث يتجلى بها الموضوع الذي نحن بصدده فأقول: وبالله التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق .

وليعلم ان المفسرين وان تباينت مراتبهم، وتفاوتت في الفهم منازلهم، ثلاثة أصناف لا رابع لها :

الأول : من اذا فسر آية اقتصر فيها على المنقول وأقوال المفسرين وأسباب النزول ووجوه الاعراب ومعاني الحروف ونحو ذلك، وهذا لا حظ له ولا نصيب بين فرسان الفهوم .

والثاني : من يأخذ في وجوه الإستنباط منها، ويستعمل فكره مقدار ما آتاه الله من الفهم ، ولا يشتغل بأقوال السابقين ، علماً منه أن ذلك موجود في بطون الأوراق ، فلا معنى لاعادته .

والثالث : من يرى الجمع بين الأمرين، والتحلي بالوصفين ، ولا يخفى أنه أرفع الأصناف ومن هذا الصنف الجلال المحلى والجلال السيوطي وصاحب الكشاف والقاضي البيضاوي ونخر الدين الرازي رضي الله عنهم أجمعين .

(ب) فرق المفسرين .

وانهم قد افترقوا من جهة أخرى ثلاث فرق :

الفرقة الأولى: اقتصرت في التفسير على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية، فاستندوا الى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، ومقاصد الآي ، وكل ذلك لايعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين ، وقد جمع المتقدمون في ذلك إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية ، في أسباب المكونات ،وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود، سألوا عنه أهل الكتاب الذين قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. واهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من (حمير) الذين اخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية، التي يحتاطون لها، مثل اخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم ، وامثال ذلك ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبّه وعبد الله بن سلام وأمثالهم . فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم ، وليست تلك المنقولات راجعة الى الأحكام حتى تتحرى الصحة فيها ، فتساهل المفسرون في نقلها ،وأصلها كما ذكرنا من أهل التوراة، الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول، ولكن في بعض الأحيان ينقل ما يحكى من

أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : «بلغوا عني ولو آية،وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» . رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن .

ولكن هذه الأحاديث الأسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فانها على ثلاثة أقسام:

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح ، والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، والثالث ماهو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لافائدة فيه تعود الى أمر ديني ولهذا يختلف أهل الكتاب في هذا كثيراً ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك.

والفرقة الثانية : قد جردت أنظارها الى ماتقتضيه اللغة العربية ، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا الى الرواية رأساً ، وان جاؤا بها لم يصححوا لها أساساً .

والفرقة الثالثة : قد جمعت بين الأمرين،ولم تقتصر على مسلك أحد الفريقين ، فاستندت على صحيح الرواية، واعتمدت على فنون الدراية، فشربت من الكأسين، ودفعت عن نفسها اللوم والبين .

(ج) أقسام تفسير القرآن .

وليعلم أن تفسير القرآن ثلاثة أقسام :

الأول : علم ما لم يطلع الله تعالى عليه أحداً من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه، من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقيقة أسمائه وصفاته، وهذا لايجوز الكلام فيه .

والثاني : ما أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه عليه من اسرار الكتاب واختصه به ، فلا يجوز الكلام فيه إلا له عليه الصلاة والسلام أو لمن أذن هو له، قيل وأوائل السور من هذا

القسم وقيل من القسم الأول .

والثالث : علوم علمها الله تعالى نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجلية والخفية وأمره بتعليمها وهذا ينقسم الى قسمين : منه : ما لايجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كاسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم وأخبار ما هو كائن . ومنه : ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ وهو قسمان : قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الأصلية والفرعية والاعرابية لأن مبناها على القواعد والأقيسة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإرشادات فانه لا يمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك ، وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نهى عنه وفيه خمسة أنواع :

الأول : التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير .

الثاني : التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له فيردّه اليه بأي طريق أمكن وان كان ضعيفاً .

الثالث : تفسير المتشابه الذي لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

الرابع : التفسير بأن مراد الله سبحانه وتعالى كذا على القطع من غير دليل .

الخامس : التفسير بالاستحسان والهوى وفيه جسارة قبيحة نعوذ بالله من اتباع الهوى .

٥ — أسباب الخلاف الواقع بين المفسرين

الأول — اختلاف القراءات :

وذلك انه قد يرد عن الصحابة تفسيران في الآية الواحدة مختلفان فيظن اختلافاً وليس في الحقيقة باختلاف ، وانما كل تفسير على قراءة وذلك كاختلافهم في قوله تعالى : (لقالوا إنما سُكِّرَتْ أبصارُنا) ففي طريق عن ابن عباس ان سكرت بمعنى سدت ، ومن طريق آخر أنها

بمعنى أُخِذَتْ ، وعن قتادة من قرأ سكِّـرت بالتشديد فإنما يعني سُدَّت ، ومن قرأ بالتخفيف فانه يعني سُحِـرَتْ وهو جمع نفيس بديع .

وفي قوله تعالى : (سرابيلهم من قَطِـرانٍ.) روى عن الحسن انه الذى تُهْـنَـأُ به الإبل الجربى ، وعن غيره أنه النحاس المذاب ، وليسا بقولين مختلفين في الحقيقة وإنما الثاني تفسير لقراءة (مِن قَطِـرٍ آن) بِـتَـنْـوينِ قطر وهو النحاس وآنٍ شديد الحرارة كقوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) .

وكقولهم في تفسير آية (أولامستم النساء) معناه الجماع أو الجسّ باليد ، فالأول تفسير لقراءة (لامستم) والثاني لقراءة (لمستم) ولا اختلاف في الحقيقة .

وكاختلافهم في قوله تعالى: (وما هو على الغيب بضنين) قريء بالضاد من الضن بكسر الضاد وفتحها بمعنى البخل أى (وما هو) أي الرسول (على الغيب) على ما يخبر به من الوحي وغيره من الغيوب (بضنين) ببخيل أي لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم ، وقريءُ بالظاء المشـالة (وما هو على الغيب بظنين) من الظنة بالـكسر أي التهمة وهو نظير الوصف السابق بالأمين ، والأول أشهر ، ورجحت هـذه القراءة عليه بأنها أنسب بالمقـام لاتهام الـكفرة له ، ونفي التهمة أولى من نفي البخل ، وبأن التهمة تتعدى بـ (على) دون البخل . (١)

وقوله تعالى : (الزجاجة كأنها كوكب دريّ) . قريء بضم الدال وتشديد الياء بالنسبة

(١) قال ابن كثير في تفسيره : وقوله تعالى : (وما هو على الغيب بظنـين) أي وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أي بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لـكل أحد قال قتادة كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لـكل من أراده وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد (قلت) وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح اه ملخصاً والحق أن التفاضل بين القرآءات المتواترة لا يجوز لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى وذلك لأنهـا وحى من الله عز وجل (كتبه مصححه)

إلى الدر لبياضه وصفائه ، وقرئ بالهمزة وكسر الدال [١] ، وبالهمزة وضم الدال [٢] ، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع لأنه يدفع الظلام بضوئه .

وقوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم .) بفتح الهمزة والفاء أي أشرفكم من النفاسة ، وبضم الفاء أي من جنسكم ونسبكم ، عربي مثلكم .

وقوله تعالى : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) على وزن فعلة أي ذات حمأة وهي الطين الأسود من حمئت البئر تحمأ حمأً إذا كثرت حمأتها وقرئ (حامية) بالياء أي حارة ، ولا يخفى أنه ليس بين القراءتين منافاة ، لجواز كون العين جامعة بين الوصفين بأن تكون ذات طين أسود وماؤها حاراً ، ولجواز كون القراءة بالياء أصلها من المهموز قلبت همزته ياء لانكسار ما قبلها وإن كان ذلك إنما يطرد إذا كانت الهمزة ساكنة كذا قيل .

وقوله تعالى : (والليل إذا يغشى ،والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى)فما موصولة بمعنى من ، وأوثرت عليها لارادة الوصفية أي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من الحيوان المتصف بذلك ، وقيل المراد بالذكر آدم وبالأنثى حواء ، وقرأ ابن مسعود (والذَّكَرِ والأنثى) ونسبت هذه القراءة لعلي كرم الله تعالى وجهه ، وأخرجها البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن علقمة وهذه قراءة شاذة منقولة آحاداً لكنها في حكم المتواترة بالنسبة لمن سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم تجوز قراءته بها .

وقوله تعالى : (وهو الذي يرسل الرياح بُشْراً بين يدي رحمته) أي قدام رحمته وهو من المجاز والمراد بها المطر وسمي رحمة لما يترتب عليه بحسب جري العادة من المنافع . قرئ (بُشْراً) بضم الموحدة وسكون الشين مخفف (بُشُراً) بضمتين جمع بشير كنذر ونذير أي

---

(١) أي قرئ [دريء] بكسر الدال وتشديد الراء مكسورة وبعدها ياء ساكنة فهمزة بوزن [سجيل] وهي قراءة عمرو بن العلاء والكسائي اهـ مصححه .

(٢) هذه القراءة في الضبط كالقراءة السابقة سوى أن الدال مضمومة وبها قرأ حمزة وأبو بكر اهـ مصححه .

مبشرات وهي قراءة عاصم وروي عنه (بُشُراً) على الأصل ، وقريء (بَشْراً) بفتح الباء على أنه مصدر بشره بالتخفيف بمعنى بشره بالتشديد والمراد باشرات أو للبشارة ، وقريء (نُشُراً) بضم النون والشين جمع نَشُور بفتح النون بمعنى ناشر كصَبُور وصُبُر وهي قراءة أهل المدينـــة قيل هو على النسب أما إلى النشر ضد الطي وأما إلى النشور بمعنى الأحياء [1] . وقرأ ابن عامر (نُشْراً) بضم النون وسكون الشين ، وقرأ حمزة والكسائي (نَشْراً) بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات ، أو مفعول مطلق فان الإرسال والنشر متقاربان [2] .

وقوله تعالى :(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قريء بصيغة الماضي وذلك لنافع والشامي ،والباقون قرؤا بكسر الخاء بصيغة الأمر، فالأول أخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، والثاني أمر لهذه الأمة وقيل لإبراهيم وشيعته .

الثاني — اختلاف وجوه الاعراب وان اتفقت القراءات :

وذلك كقوله تعالى . (فتلقّى آدمُ من ربه كلماتٍ) . برفع آدم و نصب كلمات وبالعكس فالأول على معنى انه استقبلها بالأخذ بها والقبول ، والثاني على معنى أنها استقبلته واتصلت به .

وقوله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) . برفع الجلالة و نصب العلماء وبالعكس .

---

(١) والمعنى وهو الذي يرسل الرياح حال كونها ذات نشر أي منشورة مبسوطة كأنها كانت قبل هبوبها مطوية فنشرها الله بالهبوب، أو يرسلها ذات نشر أي إحياء للأرض بعد موتها بسبب ما يكون بعدها من المطر (مصححه) .

(٢) لما كان المصدر في موضع الحال من الرياح كان المعنى : وهو الذي يرسل الرياح منشورة غير مطوية كناية عن اتساعها كأن الريح في سكونها كالمطوية ثم ترسل من طيها ذلك فتصير كالممدودة المبسوطة، وأذا كان المصدر مفعولا مطلقاً كان التقدير : وهو الذي ينشر الرياح نشراً ويفسر النشر حينئذ بالبسط بعد الطي وذلك بتصريفها وتوزيعها في وجوه مختلفة (كتبه مصححه)

وقوله تعالى : (لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) . قريء برفع بينكم و نصبها ؛ فالرفع على الفاعلية، وإن البين يستعمل في الوصل والقطع، والمراد بـه على الرفع الوصل، أي تقطع وَصْلُكُمْ وتفرق جمعكم ، والنصب على الظرفية وعلى أضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه أي تقطع الأمر بينكم ، وقيل الفاعل ضمير المصدر أي وقع التقطيع بينكم .

وقوله تعالى : (وكذلك نفصل الآيات وَلِتَسْتَبِينَ سبيل المجرمين) . قريء برفع السبيل و نصبه ، فالرفع على الفاعلية وتأنيث الفاعل وإن الفعل لازم . والنصب على أن الفعل متعد والفاعل مستتر أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم .

وقوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) قرأ حمزة بخفض الميم من الأرحام بالعطف على الهاء من (به) على أن المعنى واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام ، كان العرب يقولون فيما بينهم أناشدك بالله سبحانه وبالارحام . وقرأ الباقون بالنصب بالعطف على لفظ الجلالة أو على محل الجار والمجرور .

وقوله تعالى: (وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون)[1] . قرأ عاصم وحمزة بخفض اللام وكسر الهاء، وخرجت هذه القراءة بالعطف على لفظ الساعة في قوله تعالى (وعنده عِلْم الساعة) أي وعنده عِلْمُ قيلهِ، وقيل الواو للقسم والجواب محذوف نحو لننصرنّ رسولنا ولنفعلن بهم ما نشاء[2]، وقرأ الباقون بالنصب وضم الهاء على المصدرية بِفِعلْ محذوف ، والتقدير وقال قِيلَهُ أي شكا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ، وقيل أنه معطوف على محل الساعة أي وعنده أن يعلم الساعة وقِيلَهُ ، الخ وقريء برفع اللام وضم الهاء بالعطف على (عِلْمُ الساعة) على حذف مضاف ،

(١) القيل والقال والقول والمقال معناها واحد وكلها مصادر لقال اه مصححه .

(٢) ويجوز أن يكون جواب القسم مذكوراً غير محذوف وهو قوله تعالى (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) والمعنى أقسم بقول رسولنا (يارب) إنهم لا يؤمنون ، وإقسام الله بقول رسوله الكريم رفع منه لذكره ، وتعظيم لدعائه وتضرعه اليه ، وفيه وعيد شديد للكافرين اه مصححه .

والأصل وعِلْمُ قيله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو قراءة شاذة، ونسب الوجه الأول لأبي علي والثالث لابن جنّي وجميع الأوجه للزجاج ، وضمير (قيله) عليها للرسول عليه الصلاة والسلام المفهوم من قوله تعالى (ولئن سألتهم) .

وقوله تعالى : (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) برفع ربك ونصبه ، قرأ بالاول الأكثرون، ولكنها مشكلة من حيث المعنى ، فانها تقتضي أن الحواريين كانوا في شك من قدرة الله على إيجاد ما يريد وهذا خلاف الإجماع ، قال ابن عطية : لاخلاف احفظ في أنهم كانوا مؤمنين ، وأيد ذلك بقوله تعالى (فمن يَكْفُرْ بَعْدُ منكم فإني أعذبه)، وبأن وصفهم بالحواريين ينافي أن يكونوا على الباطل ، وبان الله تعالى أمر المؤمنين بالتشبه بهم والاقتداء بسنتهم في قوله (كونوا أنصار الله) الآية ، وبأن الرسول عليه الصلاة والسلام مدح الزبير بقوله (إن لكل نبي حواريّاً وإن حواريّ الزبير) ومن أجْلِ ذلك أجيب عن الآية بأجوبة (منها) أن معنى هل يستطيع هل يفعل (ومنها) أن المعنى هل يحب ربك أو يجيب ربك مجازاً ، وقرأ بالثاني (وهو النصب) الكسائي وعليّ كرم الله وجهه وعائشة وابن عباس ومعاذ وجماعة من الصحابة على المفعولية ولكن قرأوا بالتاء الفوقية في قوله هل (يستطيع) خطاباً لعيسى عليه السلام على حذف مضاف أي هل تستطيع سؤال ربك أي هل تسأله ذلك من غير صارفٍ يصرفك عن سؤاله .

الثالث — اختلاف اللغويين في معنى الكلمة :

وذلك كلفظ التخوف من قوله تعالى : (أو يأخُذَهم على تَخَوُّفٍ) قيل معناه على مخافة وحذر من الهلاك، بأن يهلك قوماً قبلهم ، أو يحدث حالات يخاف منها كالرياح الشديدة والصواعق والزلازل، فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون، وقال غير واحد من الأجلة: إن التخوف معناه في لغة هذيل وازد شنوأة (التنقص) والمعنى ان الله تعالى ينقصهم شيئاً

فشيئاً في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا قال شاعر هذيل يصف ناقته .

تخوّف الرّحلُ منها تامكاً قرِداً كما تخوّف عودَ النّبعةِ السَفَنُ (١)

ولفظ السرّي في قوله تعالى: (قد جعل ربك تحتك سريا) أي قربكِ سرّياً ، وهو النهر الصغير من سرى يسري ،وسمي النهر سرّياً لأن الماء يسري فيه، فلامه على هذا ياء، وقيل السرّي الرجل المرتفع القدر من سَرُوَ يَسْرُو كشرف يشرف فهو سريّ وأصله سريو فأعل اعلال سيّد فلامه على هذا واو ، والمراد به عيسى عليه السلام ،والأول أنسب بالمقام لأنه قال بعد ذلك (فكلي واشربي) أي فكلي من الرطب واشربي من السريّ .

ولفظ معين من قوله تعالى : (فمن يأتيكم بماء معين) . قيل هو مأخوذ من عان يعين فهو معين كمبيع أي مبصر بالعين من قولهم عنته أي أدركته بعيني ورأسته أي أصبت رأسه ، فعلى هذا الميم زائدة ، وقيل مأخوذ من معن الشيء معانة أي كثر أو معن الماء إذا جرى، وعلى هذا فالميم أصلية (٢) .

ولفظ مخلدون من قوله تعالى: (يطوف عليهم ولدان مُخَلَّدون) . قيل معناه لا يهرمون أبداً يقال للذي أسَنَّ ولم يَشِبْ كأنه مخلد ،وقيل معناه يخدمهم وصفاء لايجاوزون حد الوِصافة ، وقيل معناه أنهم على سن واحد لايتغيرون، وقيل معناه مُقَرَّطون بالْخِلَدَةِ وهي جماعة الحليّ (٣) .

---

(١) قال في شرح شواهد الكشاف : (التخوف) التنقص شيئاً فشيئاً و (التامك) السنام المرتفع و (القرد) الذي أكله القراد من كثرة أسفارها أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر و (النبعة) واحدة النبع وهو شجر تتخذ منه القسي و (السفن) المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب يقول : تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر كما تنقص المبرد عود النبعة اه (كتبه مصححه)

(٢) فوزنه على الأول (مفعول) وعلى الثاني (فعيل) أ ه مصححه .

(٣) الخلدة [بفتحتين] : السوار والقرط جمعه خلدة كقردة . قال أبو عمرو : خلد جاريته اذا حلاها بالخلدة [بفتحتين] اه . ملخصاً من اللسان والقاموس [كتبه مصححه] .

ولفظ أُخْفِيها من قوله تعالى: (إن الساعة آتية أكاد أُخْفِيها) . أي أقرب أن أخفى الساعة ولا أظهرها بأن أقول أنها آتية ، وقال أبو علي القالي المعنى أكاد أظهرها بإيقاعها ، على أن أُخْفِيها من ألفاظ السلب بمعنى أزيل خِفَاءها[1] أي ساترها، ويؤيده قراءة أبي الدرداء وابن جبير ومجاهد ورويت عن ابن كثير وعاصم: (أَخفيها) بفتح الهمزة فإن خفاه بمعنى أظهره لاغير في المشهور، وقال أبو عبيدة كما حكاه أبو الخطاب أحد رؤساء اللغة : خَفَيْت وأخفيت بمعنى واحد .

ولفظ مرصوص من قوله تعالى :(كأنهم بنيان مرصوص) . قال الفراء هو البناء المعقود بالرصاص ويراد به المحكم ، وقال المبرد هو مأخوذ من رَصَصْتُ البناء لاءمت بين اجزائه وقاربته حتى صار كقطعة واحدة ، ومنه الرصيص وهو انضمام الأسنان ، والظاهر أن المراد تشبيههم في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص من حيث أنهم لا فرجة بينهم ولا خلل ، وقيل المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص، والاكثرون على الأول .

ولفظ المسجور من قوله تعالى: (والبحر المسجور). أي الموقد ناراً من سجرت التنور وبه قال مجاهد ، وقيل معناه المملوء يقال سجره إذا ملأه وبه قال قتادة ، وعن ابن عباس الذاهب ماؤه، خرجت امرأة لتستقى فقالت الحوض مسجور أي فارغ، فيكون من الأضداد . وذهاب مائه يكون يوم القيامة ، وقيل المسجور المختلط وهو نحو قولهم للخليل المخالط سجير ، والمراد بهذا الاختلاط تلاقي البحار بمياهها واختلاط بعضها ببعض أو اختلاط عذبها بملحها ، وفي رواية عن ابن عباس أنه فسره بالمحبوس ومنه ساجور الكلب وهي

---

(١) الخفاء بكسر أوله كالغطاء وزناً ومعنى . قال في الانتصاف : وأحسن ما في محامل الآية ما ذكره الاستاذ أبو علي حيث قال : المراد أكاد أزيل خفاءها أي أظهرها إذ الخفاء الغطاء وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب : أخفيته إذا آزلت خفاءه كما تقول : أشكيته وأعتبته إذا أزلت شكايته وعتبه اه [كتبه مصححه] .

القلادة التي تمسكه ، وكأنه عنى المحبوس من أن يفيض فيغرق الأرض أو يغيض فتبقى الأرض خالية منه . وعنه أيضاً تفسيره بالمرسل، وإذا اعتبر هذا مع ما تقدم عنه من تفسيره بالمحبوس يكون من الأضداد أيضاً .

ولفظ راق من قوله تعالى :(وقيلَ مَنْ رَاقٍ) . أي قال أهل المريض من يَرْقِيه عسي أن يشفيه ، وقيل إن الملائكة تقول من يَرْقَى بروحه أي يصعد بها إلى السماء ، فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر ، والثاني من الرقيّ وهو العلو والعروج .

ولفظ سكن من قوله تعالى : (وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم) . قالوا (سكن) يحتمل أن يكون من السكنى بمعنى حل فيتناول المتحرك والساكن من غير تقدير ، ويحتمل أن يكون من السكون ضد الحركة أي هدأ واستقر وفي الكلام حينئذٍ الاكتفاء بأحد الضدين كما في قوله تعالى (سرابيل تقيكم الحر) والتقدير ما سكن فيهما وما تحرك ، وخصّ السكون بالذكر لأنه أكثر وجوداً .

الرابع — اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر :

نحو قسورة من قوله تعالى :(كأنهم حُمُر مستنفرة فَرّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ). أي من الأسد من القَسْرِ وهو القهر والغلبة ، أو الرجال الرماة القنص ،وقيل أول الليل أي فرت من ظلمة الليل ، وجمهور اللغويين على أنه الأسد .

ونحو الصريم من قوله تعالى : (فأصبحت كالصريم). فيه أربعة أقوال، الأول: أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها ، والصريم في اللغة الليل . الثاني : أصبحت كالنهار لأنها أبيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار ، والثالث : الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب ، والرابع : أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة .

ونحو قوله تعالى: (وغَدَوْا على حَرْدٍ قادرين). في (الحرد) أربعة أقوال: الأول المنع ، الثاني القصد ،الثالث الغضب ، لرابع الحرد اسم الجنة .و(قادرين) يحتمل أن يكون من القدرة أي قادرين في زعمهم ، أو من التقدير بمعنى التضييق أي ضيقوا على المساكين .

ونحو غراماً من قوله تعالى :(ان عذابها كان غراماً) . أي شراً لازماً دائماً ممثلاً بلزوم الغريم على ما رواه ابن الأعرابي ، أو مُهْلِكاً على ما رواه أبو عبيدة ، أوفظيعاً شديداً .

ونحو قوله تعالى : (والسماء ذاتِ الْحُبُكِ) . أي ذات الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح ، وقيل الْخَلْقِ الحسن ، أو البنيانِ المحكم من الحبكِ وهو الصفاقة في النسيج [1] .

ونحو قروء في قوله تعالى :(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) . جمع قرء (بفتح القاف وضمها) فإنه مشترك بين الطهر والحيض .

ونحو عسعس من قوله تعالى : (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) . بمعنى أدبر ظلامه ، أو أقبل ، فمن الأول قول القائل :

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا [2]

وقيل كونه بمعنى أقبل أوفق بقوله(والصبح اذا تنفس) فإنه أول النهار فيناسب أول الليل [3]

ونحو قوله تعالى :(فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) . أي من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا ، ويأتي الغابر في اللغة بمعنى المقيم والباقي كقول الهذلي : فغبرتُ

---

(١) الحبك (بضمتين) جمع حبيكة كطريقة وطرق أو جمع حباك كمثال ومثل . قال ابن عباس وغيره (ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء) وقال الضحاك وغيره :(ذات الطرائق مثل تجعد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق فذلك الحبك) وعن أبي صالح (ذات الحبك) الشدة ، وقال خصيف ذات الصفاقة ، وقال الحسن (ذات الحبك) حبكت بالنجوم أي شدت بها أو زينت . قال ابن كثير : وكل هذه الأقوال ترجع الى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس فأنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة ، شديدة البناء ، متسعة الأرجاء ، أنيقة البهاء ، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات [كتبه مصححه] .

(٢) قال في شرح شواهد الكشاف : (تنفس الصبح) اتساع ضوئه أو إقباله بضوء ونسيم ، وضمير (لها) للشمس وقيل للمفازة ، (وانجاب عنها ليلها) إنقطع وانفصل عنها ظلام الليل ، (وعسعس ولي مدبراً وزال ظلامه فهو توكيد لما قبله اه [كتبه مصححه] .

(٣) من القائلين بهذا من المفسرين ابن كثير قال : كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال تعالى (والليل اذا يغشى . والنهار إذا تجلى) اه مصححه] .

بعدَهُمُ بعيشٍ ناصبِ [1] وبمعنى الماضي والذاهب وعليه قول الأعشى : من أُمِّـهِ في الزمن الغابر [2] وبمعنى الهالك فهو مشترك بين هذه المعاني .

الخامس — إحتمال الإطلاق والتقييد

وذلك كقوله تعالى في كفارة الظهار : (فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا) . حمل الامام ابو حنيفة الرقبة على اطلاقها فتشمل المؤمنة والكافرة ، واشترط الامام الشافعي كون الرقبة مؤمنة حملا للمطلق في هذه الآية على المقيد في آية القتل بجامع عدم الاذن في السبب . وقال الحنفية لا يُحْمَلُ المطلق على المقيد الا في حكم واحد في حادثة واحدة ، وكذا حمل الامام مالك كفارة الظهار بالاطعام على الكفارة بالتحرير والصيام في انه يلزم ان يكون قبل المماسّة فانه تعالى قال في التحرير والصيام (من قبل ان يتماسا) ولم يذكر ذلك في الاطعام فحمل الاطعام على ما قبله وجعل ذلك من حمل المطلق على المقيد .

وقوله تعالى في كفارة اليمين :(فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام). اعتبر ابو حنيفة والثوري التتابع فيها ، بنــاء على ما روى عن ابي بن كعب وابن مسعود انهما قرآ (فصيام ثلاثة ايام متتابعات) ، وجوز الامام الشافعي التفريق ولا يرى الشواذ حجة وحمل الآية على الاطلاق

وقوله تعالى في آية التيمم : (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) . فالتيمم لا يكون الا في هذين العضوين ، ويستوعب الوجه بالمسح اتفاقاً ، واما اليدان فاختلف فيهما هل المسح الى الكوعين او الى المرفقين ، ولفظ الآية محتمل ، لأنه لم يجر فيه التحديد ، فقيل الى الكوعين وقيل الى المرفقين ، واحتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد وهو تحديدهما في الوضوء بالمرفقين .

وقوله تعالى : (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) . قيل المراد : ولا يقبل منها شفاعة الا بعد الاذن لقوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه)

---

(١) هذا صدر بيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي وتمامه : (وإخال أني لاحق مستتبع) بكسر الباء وفتحها « مصححه »

(٢) هذا عجز بيت للأعشى من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة لمنافرته عامر بن الطفيل وصدر البيت (عض بما أبقى المواسى له من أمه الخ) والمواسى بفتح الميم جمع موسى يقول له عض بظر أمك وهذا أقبح السباب عند العرب . « مصححه »

فيكون من قبيل حمل المطلق على المقيد، وتمسّك المعتزلة بعموم الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر [1]، وكون الخطاب للكفار والآية نازلة فيهم لا يدفع العموم المستفاد من اللفظ.

وقوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين). فالنفي في قوله (وماهم بمؤمنين) يحتمل التقييد لأنه واقع في جواب ما قبله، والمعنى وما هم بمؤمنين بالله وباليوم الآخر، والاطلاقَ لأنه أعم في سلب الإيمان، ونفي المطلق يستلزم نفي المقيد فهو أبلغ وأوكد.

وقوله تعالى في كفارة اليمين أيضاً: (أو تحرير رقبة). اشترط الإمام مالك والشافعي فيها أن تكون مؤمنة حملاً للمُطْلَق على المقيّد لتقييدها بالايمان في كفارة القتل، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة لاطلاق اللفظ، ولا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف السبب.

السادس — احتمال العموم والخصوص:

وذلك كقوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم). قيل المراد من لَفْظِ الناس الأول وَفْد عبد القيس فيكون عاماً، وقيل المراد به نعيم بن مسعود الأشجعي فيكون خاصاً.

وقوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله). قيل المراد بالناس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث حَسَدُوهُ أنْ أعطاه الله النبوة وأباح له تسع نسوة [2]، وقيل المراد به العرب، أو النبي وآله، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام [3]، فيكون على الأول خاصاً وعلى

---

(١) المعتزلة يرون ان من ارتكب ذنباً من الكبائر ومات ولم يتب منه فهو مخلد في النار، ولكن عذابه دون عذاب الكافر، فهو عندهم بمنزلة بين الأيمان والكفر، ولا ينال الشفاعة لخلوده في النار وقد زيف مذهبهم المفسرون والمحدثون والمتكلمون فلتراجع كتبهم. اهـ مصححه.

(٢) روى أن اليهود قالت لكفار العرب انظروا إلى هذا الذي يقول: إنه بعث بالتواضع وأنه لا يملأ بطنه طعاماً ليس همه الا في النساء ونحو هذا فنزلت والمعنى لم تخصونه بالحسد ولا تحسدون آل ابراهيم يعني سليمان وداود في انهما أعطيا النبوة والكتاب وأعطيا مع ذلك ملكا عظيماً في امر النساء أفاده أبو حيان في البحر المحيط [مصححه]

(٣) قال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو اسرائيل أن كان الرسول منها والفضل هنا الرسول والمعنى لم تحسدون العرب على هذا النبي وقد أوتي أسلافهم أنبياء وكتباً كالتوراة والزبور، وحكمة وهي الفهم في الدين مما لم ينص عليه الكتاب وروى عن ابن عباس أنه قال «نحن الناس» يريد قريشاً اهـ من تفسير البحر المحيط لأبي حيان «مصححه»

الثاني عاماً .

وقوله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدّق به) . قيل المراد بالموصول رسول[1] الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في « الأسماء والصفات » عن ابن عباس وفسر الصدق بلا إلـه إلا الله فالموصول وإن كان عاماً فالمراد به خاص . وحمل بعضهم الموصول على الجنس فإن تعريفه كتعريف ذي اللام يكون للجنس وللعهد والمراد حينئذ به الرسل والمؤمنون وأيّد إرادة ما ذكر بقراءة ابن مسعود (والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به) وعلى هذا يكون عاماً أي باقيا على عمومه وقال أبو العالية والكلبي وجماعة : الذي جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم والذي صدّق به هو أبو بكر (رض) وقيل عليّ كرم الله وجهه وعن السدى أنه قال الذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام وصدق به هو النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

وقوله تعالى : (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونآى بجانبه) أي لوى عطفه كأنه مُسْتَغْنٍ كما قال تعالى (إن الانسان ليطغى ، أنْ رآه استغنى) قيل المراد من الانسان نوعه وجنسه الشامل لأفراده ، وقال ابن عباس الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة ، قال الرازي وهذا بعيد بل المراد نوع الانسان .

وقوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) قيل المطلقات لفظ عموم والمراد به الخصوص في المدخول بهن ، وخرجت المطلقة قبل الدخول بآية الأحزاب (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسّوهُنّ فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) وكذا

---

(١) قال الآلوسي : والمؤمنون داخلون بدلالة السياق وحكم التبعية دخول الجند في قولك : (نزل الامير موضع كذا) ثم قال والجمع في قوله تعالى « أولئك هم المتقون » باعتبار دخول الأتباع ـ وهم المؤمنون ـ تبعا ، ومراتب التقوى متفاوته ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلاها [مصححه]

(٢) قصر الذي صدق على ابي بكر أو علي رضي الله عنهما أو النبي صلى الله عليه وسلم أقوال ضعيفة جداً بل باطلة بدليل بقية الآية والآيتين بعدها اهـ [مصححه]

الحامل بقوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أنْ يضعن حملهن) والآيسة والصغيرة بقوله تعالى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يَحضْنَ) وقيل المطلقات على عمومها ثم حصل النسخ بَعْدُ بما ذكر وهو ضعيف .

وقوله تعالى: (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). فأجمعين تأكيد بالنسبة إلى الكل ، والمراد بالناس المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأنهم المعتد بلعنهم لا الكافرون، وقيل إنه باقٍ على عمومه والكفار يلعن بعضهم بعضاً يوم القيامة .

وقوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) قيل المراد من الموصول الخصوص ، وهو إما الكثير من الأحبار والرهبان الذين سبق ذكرهم قبل هذه الآية ، وإما المسلمون لجري ذكرهم أيضاً وهو الأنسب بقوله (ولا ينفقونها في سبيل الله) لأنه يشعر بأنهم ممن ينفق في سبيله سبحانه ، وحمله بعض المحققين على العموم ويدخل فيه الأحبار والرهبان دخولاً أوّلياً والله أعلم .

وقوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) . أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله تعالى ولكن عبادتهم لغيره لأجل التقريب والشفاعة كما ينبيء عنه قولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) . وان الايمان قد يجامع الشرك كأن يصدق بوجود الصانع دون وحدانيته ومن ذلك قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فالظلم عام أريد به هنا المعنى الخاص وهو الشرك كما قال تعالى (إن الشرك لَظُلمٌ عظيم) والى هذا ذهب ابن عباس وقتادة ومجاهد وأكثر المفسرين ، ولا يقال انه يلزم من قوله (ان الشرك لظلم عظيم) إن غير الشرك لايكون ظلماً لأنهم قالوا إن التنوين في (بظلم) للتعظيم أو لأن المتبادر من المطلق أكمل أفراده ، وقيل المراد بالظلم المعصية وحكي ذلك عن الجبائي والبلخي وارتضاه الزمخشري تبعاً لجمهور المعتزلة .

وقوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات) . أي يكفرنها ويذهبن المؤاخذة عليها، قيل

المراد من الحسنات الخصوص وهي الفرائض فقط لرواية (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن) وقيل المراد بها الصلوات المفروضة لما في بعض الطرق المفيدة لسبب النزول من أن رجلاً قبل امرأة أجنبية وندم فلما صلى صلاة قال له عليه الصلاة والسلام إذهب بها فانها كفارة لما عملت ، والظاهر من الآية العموم، فان الحسنات تعمّ الصلوات المفروضة وغَيْرَها من الطاعات المفروضة وغَيْرِها ، وسبب النزول لا يأبى العموم ، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما لا يخفى .

وقولة تعالى : (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) قيل المراد بالذين يتبعون الشهوات الزناة ، وقيل المجوس ، وقيل اليهود والنصارى، وقيل عام في كل من اتبع شهوته وهو أرجح .

وقوله تعالى: (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) عموم يراد به الخصوص فهي كقوله تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا)ويحتمل ان يراد العموم ومعناه الامهال وان لا يُعاجَلوا بالعقوبة .

السابع — احتمال الحقيقة والمجاز :

وذلك نحو قوله تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أي ساتراً فهو من باب المجاز من قبيل قولهم (سيل مُفْعَم) بفتح العين وقيل هو على بابه جار على الحقيقة أي مستوراً عن عيون الخلق لأنه من لطف الله وكفايته ويكون بياناً لأنه حجاب معنوي لا حسي ، أو مستوراً بحجاب آخر فيكون إيذاناً بتعدد الحجب ، أو مستوراً كونه حجاباً حيث لا يدرون أنهم لا يدرون .

وقوله تعالى : (وأنه هُوَ أضحك وأبكى) أي خلق في بني آدم الضحك المعروف والبكاء فيكون من باب الحقيقة، أو أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر فيكون من قبيل المجاز، والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن، لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما ان البكاء

دليل على الحزن . وقوله تعالى : (وانه هو أمات وأحيا) . بمعنى الحياة المعروفة والموت المعروف، وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والطغيان ، والأول أرجح لأنه حقيقة .

وقوله تعالى : (وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) . قيل إنه تسبيح بلسان الحال أي بما تدل عليه صَنْعتُها من قدرة وحكمة ، فيكون من قبيل المجاز ، وقيل بلسان المقال فيكون من قبيل الحقيقة وهذا أرجح لقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) .

وقوله تعالى : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) . فالعمى في الموضعين يراد به عمى القلب من العمى المجازي أي من كان في هذه الدنيا أعمى عن الهدى والصواب فهو في يوم القيامة أعمى أي حيران يائس من الخير ، ويحتمل أن يراد بالعمى في الآخرة عمى البصر كقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربّ لِمَ حشَرْتني أعمى وقد كنتُ بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلكَ اليومَ تُنْسَى) .

وقوله تعالى: (وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) . قالوا إن كان هذا من وصف الأصنام فقوله (ينظرون) مجاز وقوله (لا يبصرون) حقيقة أي وترى الأصنام رأي العين يشبهون الناظر إلَيْكَ ويخيل اليك أنهم يبصرون لما انهم صنع لهم أعين مركبة بالجواهر الْمُتَلألِئَةِ ، وصورت بصورة من يقلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم لا يرون بها شيئاً - وإن كان هذا من وصف الكفار (فينظرون) حقيقة و (لا يبصرون) مجاز على المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون أي سماعاً ينتفعون به أي وترى المشركين ناظرين اليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه أو لا يبصرون الحجة .

وقوله تعالى : (والتفّتِ الساق بالساق) . أي ساقُه بساقه والْتوتْ عليها عند هلع الموت وقلقه ، فالساق على هذا بمعناها الحقيقي وأل عِوَضٌ عن المضاف اليه كما قدرنا أوعهدية ، وقيل الساق مجاز عن الشدة كقولهم (كشفت الحرب عن ساقها) إذا اشتدت

أي التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة وآختلطتا روى ذلك عن الحسن ، ونحوه قول عطـاء :اجتمع عليه شدة مفارقة المألوف عن الوطن والأهل والولد والصديق وشدة القدوم على ربه عز وجل لايدري بماذا يقدم عليه .

وقوله تعالى : (وآنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر) . جمع حنجرة وهي الحلق ومعناه أن القلوب قـد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر ، فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة ، ويحتمل أن يكون مجازاً عبر به عن شدة الخوف .

وقوله تعالى : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) . قيل ان الأبواب مجاز عن كثرة المطر على طريق الاستعارة التمثيلية بأن شـبه تدفق المطر من السماء بآنصباب أنهار آنفتحت بها أبواب السماء وآنشق بها أديم الخضراء وهو الذي ذهب إليه الجمهور ، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته وهو ظاهر كلام آبن عباس أخرج آبن المنذر وآبن أبي حاتم عنه أنه قال: لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم .

الثامن — إحتمال الإضمار أو الإستقلال :

فمن ذلك قوله تعالى: (يخادعون الله والذين آمنوا). فقوله تعالى (يخادعون) من الخدع وهو الإخفاء والإيهام وهو أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد بـه من المـكروه ، والمخادعة تقتضي المشاركة من الجانبين، والله منزه عن ذلك لأنه لا يَخْدَع ولا يُخْدَع ، وأجيب عن ذلك بأنه من باب الإضمار أي يخادعون رسول الله ، أو من باب الاستقلال من دون إضمار وتقدير ، فأن صورة صنيعهم مع الله تعالى حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون ، وصورة صنيع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في الدرك الأسفل من النار، وصورة صنيع المؤمنين معهم حيث آمتثلوا أمر الله تعـالى فيهم فأجروا ذلك عليهم ، تشبه صورة المخادعة . ففي الـكلام إما استعارة تبعية أو تمثيلية في الجملة ، أو بأن المفاعلة ليست

على بابها فان (فَاعَلَ) قد يأتي بمعنى (فَعَـل) مثل عافاني الله ، وقاتلهم الله .

وقوله تعالى : (وتجعلون رزقـكم انكم تكذبون) . أي بدل شكر رزقكم انكم تكذبون فيكون من باب التقدير والاضمار ، وقيل معناهُ وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون قال الحسن في هذه الآية : خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به ، فعلى هذا الآية الكريمة مستقلة غنية عن التقدير .

وقوله تعالى : (وَأُشْرِبوا في قلوبهم العجلَ بكفرهم). أي حب العجل على حذف المضاف فيكون من باب الإضمار ، وجوز أن يكون العجل مجازاً عن صورته فلا حاجة حينئذٍ الى الحذف ، والشرب (١) أما عبارة عن التمكن فيكون من باب المجاز أو الشرب حقيقة وذلك على ما روى السدى أن موسى عليه السلام برد العجل بالمبرد ورماه في الماء وقال لهم اشربوا فشربوا جميعهم فمن كان يحب العجل خرجت برادته على شفتيه ولا يخفى ان قوله (في قلوبهم) يبعد هذا القول جداً .

وقوله تعالى: (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن). معنى حاق حلّ ونزل. قال ابن عطية وغيره: ان هذا على الاضمار وحذف المضاف ، تقديره ، حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن ، ويحتمل أن يكون الكلام مستقلاً دون حذف وهو أحسن ومعناه : حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤن ويقولون متى هذا الوعد .

ومن ذلك علي ما قيل قوله تعالى: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) . فان حكم الآية مشكل بناء على الظاهر منها لأن أمر الملائكة بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصويرنا ، وقد أجيب بأن الكلام مبني على الاضمار بتقدير مضاف والمعنى ولقد خلقنا

---

(١) جرى المؤلف رحمه الله على أن قوله تعالى (وأشربوا) مأخوذ من الشرب أي سقوا في قلوبهم العجل والمراد تمكن في قلوبهم حبه أو سقوا برادته إذا صح الأثر المروي عن السدي وهو بعيد جداً . راجع تفسير الآية في « روح المعاني » للآلوسي « مصححة »

أباكم ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، وذكر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر كما يقال قتلنا كم أي قتلنا سيدكم، وعلى تقدير هذا المضاف يحصل الترتيب، لأن المراد بالأب آدم عليه السلام. وأمر الملائكة بالسجود له كان بعد خلقه وتصويره، وعلى هذا التقدير يكون ذكر آدم بَعْدُ من إقامة الظاهر مقام المضمر لأن المقام على تقدير ذلك المضاف يكون للاضمار أي ثم قلنا للملائكة اسجدوا له فعدل عنه إلى الظاهر وهو آدم، وقد أجيب عن ذلك بجواب آخر وهو أن المعنى خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق ثم كان السجود بعد ذلك، ويقوى هذا قوله تعالى: (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) والحديث (أنه أخرجهم أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق) وأجيب أيضاً بأن الترتيب في التقدير فان الله تعالى قدر خلق بني آدم وتصويرهم في الأزل، والأمر بالسجود لازم متأخر عنهما، وأجيب أيضاً بأن (ثُمَّ) هنا نائبة عن الواو كما في قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) وأن الكلام مبني على التقديم والتأخير.

وهذه الأجوبة أعني ما عدا الأول مبنية على أن الكلام مستقل بنفسه لا إضمار فيه، والله أعلم بظاهر الأمر وخافيه.

التاسع — احتمال زيادة الكلمة:

ومن ذلك قوله تعالى: (قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا) الآية. وحاصل القول في هذه الاية أن (ما) خبرية بمعنى الذي منصوبة بأَتْلُ و(حرم ربكم) صلته و(عليكم) متعلق بحرم و(أَنْ لا تشركوا) في تأويل مصدر بدل من (ما) فيكون المعنى أتل ما حرم وهو عدم الشرك والحال أن المحرم هو الشرك فأجيب عن ذلك لئلا يفسد المعنى بأن (لا) زائدة وكذا أن جعل (أن لا تشركوا) خبراً المبتدإ محذوف على معنى: قل تعالوا أَتْلُ ما حرم ربكم عليكم هو الإشراك، وقيل (لا) أصلية والأصل أبين لكم ذلك لئلا تشركوا، وقيل إن الأصل أوصيكم بأن لا تشركوا بدليل آخر الآية (ذلكم وصاكم

به) وقيل إن التقدير أتل عليكم أن لا تشركوا فحذف ذلك مدلولاً عليه بما تقدم ، وقيل ان الكلام قد تم عند قوله (حرم ربكم) ثم ابتديء بقوله : عليكم أن لاتشركوا وأن تحسنوا بالوالدين إحسانا الآية و(لا) في هذه الأوجه نافية. وقيل إن (أنْ) مفسرة بمعنى أي و (لا) ناهية والفعل (تشركوا) مجزوم لامنصوب كأنه قيل أقول لكم لا تشركوا به شيئاً .

ومن ذلك قوله تعالى : (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) اختلف في معنى الآية فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله اهلاكها ان يرجعوا إلى الله بالتوبة أو ممتنع على قرية اهلكها الله ان يرجعوا إلى الدنيا و (لا) زائدة في الوجهين ، ويحتمل أن تجعل (لا) أصلية نافية والمعنى ممتنع عليهم أنهم لا يرجعون إلى الآخرة[1] ، ويجوز أن يجعل حرام مبتدأ حذف خبره أي حرام عليهم قبول أعمالهم أو خبرا حذف مبتدؤه أي العمل الصالح حرام عليهم ، و (انهم لا يرجعون) تعليل على اضمار اللام ، والمعنى لأنهم لا يرجعون عما هم فيه .

ومن ذلك قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) فقيل أن(لا) زائدة لمجرد التوكيد وتقوية الكلام كما في قوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب)وقيل إنها اصلية نافية ، ومنفيها ما حكي عنهم كثيراً من انكار البعث أو أنه ساحر أو كاهن أو غير ذلك أو اقسم [2] التالية لها أي لا يحتاج إلى القسم فان الأمر واضح أو أن إعظامه بالاقسام به كلا اعظام أي أنه يستحق اعظاماً فوق ذلك كما قال تعالى : (فلا اقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم) .

ومن ذلك قوله تعالى : (ليس كمثله شيء). قال الاكثرون ان الكاف زائدة والتقدير

---

(١) والمعنى على هذا الوجه أنهم يبعثون ويرجعون الينا حتماً لنجازيهم على ما قدموا لأن المقرر لدى العلماء أن نفي النفي إثبات [مصححه] .

(٢) قوله (أو أقسم الخ) عطف على قوله (ما حكى عنهم) ومراده أنه يجوز أن يكون المنفي هو فعل القسم (أقسم) الذي دخلت عليه (لا) والمعنى لست أقسم بيوم القيامه على حصول البعث فانه أوضح من أن اقسم عليه ويجوز أن يكون المعنى على النفي : أنا لا أجعل يوم القيامة مقسماً به على حصول البعث ووقوعه لأن يوم القيامة عظيم في نفسه لا يحتاج الى التنويه على عظمته بالقسم به [مصححه] .

ليس شيء مثله إذ لو لم تقدر زائدة صار المعنى ليس شيء مِثْلَ مِثْلِهِ فيلزم المحال وهو اثبات المثل، وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل، لأن زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة ثانياً ، وقيل الكاف في الآية اصلية غير زائدة ، ثم اختلف في التوجيه ، فقيل إن المثل بمعنى الذات والمعنى ليس كذاته شيء أو بمعنى الصفة والمعنى ليس كصفته شيء، وقيل ان نفي مثل المثل مستلزم لنفي المثل بطريق البرهان كما حققه بعض الاعيان، وذلك أنه لو ثبت المثل له على هـذا التقدير لكان سبحانه مِثْلاً لذلك المثل والغرض أن مِثْلَ المثل منفي فاذن لا يتحقق نفي مثل المثل إلا بنفي المثل من أصله كما تقول ليس لأخي زيدٍ أخٌ تريد أن زيداً ليس له أخ هذا والله اعلم.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الاعراف: (ما منعك أن لا تسجد). قالوا إن (لا) هذه زائدة ويوضحه الآية الاخرى في سورة ص (ما منعك ان تسجد) ومنه (ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ان لا تَتَّبِعَن)، و(لئلا يعلم اهل الكتاب) أي ليعلم، ويحتمل ان تكون اصلية غير زائدة بتضمين منع معنى حمل أي ما حملك على ان لا تسجد أو معنى الالجاء والاضطرار والمعنى ما اضطرك والجأك الى ان لا تسجد. وقيل المنع قد يستعمل في الحماية ومنه مكان منيع وفلان ذو مَنَعَةٍ أي عزيز ممتنع على من يرومه ، والمعنى في الآية على هذا ما حماك عن عدم السجود.

العاشر — احتمال الكلام الترتيب او التقديم والتأخير:

وذلك نحو قوله تعالى : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً قَيِّماً). قيل المراد بقيماً ما أريد مما قبله وذكره للتأكيد ، وقال الفراء المراد قيما على الكتب السماوية شاهداً بصحتها ، وقال أبو مسلم المراد قيماً بمصالح العباد متكفلاً بها ، وهو على هذين القولين تأسيس لا تأكيد ونصبه بمضمر أي وجعله قيماً ، وقال بعضهم الواو في (ولم يجعل له عوجاً) للاعتراض، وفي الكلام تقديم وتأخير، والأصل: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً ، وروي القول بالتقديم والتأخير عن ابن عباس ومجاهد .

وقوله تعالى : (وجاءت سكرة الموت بالحق) . أي شدة الموت ، مستعارة من الحالة التي تعرض بين المرء وعقله ، بجامع ان كلاً منهما يصيب العقل بما يصيب. وجوز أن يشبه الموت بالشراب على طريق الاستعارة المكنية، ويجعل إثبات السكرة له تخييلاً ،والمعنى أحضرت سَكْرةُ الموت حقيقه الأمر الذي نطقت به كتب الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام . وقرئ (وجاءت سكرة الحق بالموت) و نقلت عن أبي بكر الصديق وابن مسعود ، والمعنى أنها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة ،وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى، على أن الحق من أسمائه عز وجل والاضافة للتهويل لأن ما يجيء من العظيم عظيم .

وقوله تعالى : (ياعيسى انى متوفيك ورافعك اليّ) . قيل هذا من المقدم والمؤخر أي رافعك إليّ ومتوفيك، وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرح به في الآية الأخرى(١) وفي الحديث (إن عيسى لم يمت،وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة) ، وقيل المراد أني قابضك ومستوفى شخصك من الأرض ، من توفىَّ المالَ بمعنى استوفاه وقبضه ، وقيل أن المراد بالوفاة هنا النوم لأنهما أخوان ويطلق كل منهما على الآخر ، وقيل معناه أجعلك كالمتوفى لأنه بالرفع يشبهه ، وقيل الآية محمولة على ظاهرها على الترتيب أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه اليه والله أعلم .

وقوله تعالى : (ولا تؤْمِنوا إلّا لمن تَبِعَ دينكم قل إن الْهُدى هُدى اللهِ أنْ يُؤْتى أحدٌ مِثْلَ ما أوتيتُمْ أو يُحاجّوكم عند ربكم) . قال الواحديّ أن هذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيراً ،وقد وجهت بوجوه عديدة (أحدها) أنها من باب التقديم والتأخير ،والتقدير ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهم المسلمون أوتوا كتاباً سماوياً كالتوراة ونبياً مرسلاً كموسى وبأن يحاجوكم ويغلبوكم بالحجة يوم القيامة الّا لأتباعكم،وقوله تعالى (قل ان الهدى هدى الله) جملة معترضة بين الفعل ومتعلقه أتى بها للاشارة إلى أن كيدهم غير

---

(١) وهي قوله تعالى في سورة النساء « وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله اليه » .

ضار لمن لطف الله به و(ثانيها) أنها جاءت على الترتيب من دون تقديم وتأخير والمراد ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر الذي أتيتم به وَجْهَ النهارِ إلا لمن كان تابعاً لدينكم أولاً، وهم الذين أسلموا منهم، أي لأجل رجوعهم، ثم قيل (إن الهدى هدى الله) ويكون قوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) الخ معللاً لمحذوف أي لِأنْ يُؤتى أحدٌ مِثلَ ما أوتيتم ولما يتصل به من الغلبة بالحجة يوم القيامة دبّرتم ما دبرتم وقلتم ما قلتم، وقيل غير ذلك كما في روح المعاني.

وقوله تعالى: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه). اختلف العلماء في هذا التركيب فقيل انه من باب التقديم والتأخير وإن (من آل فرعون) متعلق بقوله (يكتم إيمانه) بناء على أن هذا الرجل من بني إسرائيل، وليس من قوم آل فرعون أي وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون دون موسى ومن معه، وقيل أن هذا التركيب جار على الترتيب وأن (قوله من آل فرعون) صفة لمؤمن، وكان هذا الرجل قبطياً، ابن عم فرعون، يجري مجرى ولي العهد، ومجرى صاحب الشرطة، إسمه (شمعان) بشين معجمه وقيل (خربيل) بالخاء المعجمة المكسورة والراء المهملة الساكنة وقيل (حزبيل) بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة، والقول الثاني أرجح، لأنه لا حاجة فيه إلى التقديم والتأخير، ولقوله (من ينصرنا من بأس الله) لان هذا كلام قريبٍ شفيقٍ، ولأن بني إسرائيل كانوا حينئذ إذلاء لا يتكلم أحدهم مثل هذا الكلام.

الحادي عشر — احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً:

وذلك كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته). قيل هي منسوخة وقيل محكمة، فمن قال بالأول جنح إلى أن المراد من (حقّ تقاتِه) ما يحق له ويليق بجلاله وعظمته وذلك غير ممكن (وما قدروا الله حق قدره)[1] ومن قال بعدم النسخ جنح إلى أن (حق) من حق

---

(١) والناسخ هو قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت (اتقوا الله حق تقاته) اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم، =

الشيءُ بمعنى وجب وثبت، وهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، وأن الأصل اتقوا الله اتقاء حقاً أي ثابتاً واجباً، فيكون قوله (فاتقوا الله ما استطعتم) بياناً لقوله تعالى (إتقوا الله حق تقاته) لا ناسخاً والأول هو المشهور .

وقوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . قيل أنها منسوخة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أكره العرب على دين الاسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالاسلام قاله سليمان بن موسى قال : نسختها (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) وروي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين ، وقيل ليست بمنسوخة وأنما نزلت في أهل الكتاب خاصة وأنهم كانوا لا يكرهون على الاسلام إذا أدّوا الجزية، والذين يُكْرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الاسلام ، فهم الذين نزل فيهم (يا أيها النبي جاهد الكفار) وهو قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك .

وقوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير اخراج، فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف، والله عزيز حكيم) . قيل هذه الآية منسوخة بالاربعة الأشهر والعشر [1] وقال الطبري عن مجاهد : إن

= فأنزل الله تعالى تخفيفاً على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الأولى ، ومثله عن أنس وقتادة وأحدى الروايتين عن ابن عباس « أفاده الآلوسي » والتحقيق أن النسخ في لسان السلف قد يراد به بيان المشكل ، وتقييد المطلق ، وتخصيص العام ، وقد يراد به ما تعارف عليه الأصوليون والفقهاء من أنه محو حكم شرعي متقدم بحكم شرعي آخر متأخر ، ولا يصار الى النسخ بالمعنى الأخير الا عند الاضطرار عند المحققين ولا اضطرار هنا والحمد لله فليحمل النسخ في أثر سعيد بن جبير على بيان المشكل ، وبذلك يرجع القول الأول الى الثاني [كتبه مصححه]

(١) إشارة الى قوله تعالى في سورة البقرة : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) الآية ، فانها نزلت بعد الآية (متاعاً الى الحول غير إخراج) فكانت ناسخة لها ، وترتيب النزول في الآيات غير ترتيب التلاوة المدون في المصاحف فلا يعترض على أرباب هذا القول بأن الآية الناسخة متقدمة على الآية المنسوخة في التلاوة والواجب أن يكون الناسخ هو المتأخر عن المنسوخ [كتبه مصححه] .

هذه الآية محكمة لا نسخ فيها، والعدة كانت أربعة أشهر وعشراً، ثم جعل الله لهن وصية منه سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة تمام السنة، إن شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت، وهو قول الله تعالى (غير إخراج فان خرجن فلا جناح عليكم) والقول الأول آظهر وأشهر .

وقوله تعالى : (والذين عقدت إيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا) . أختلف في هذه الآية هل هي منسوخة أم محكمة، فالذين قالوا أنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل بالمؤاخاة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، ثم نسخها قوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) فصار الميراث للأقارب، والذين قالوا انها محكمة اختلفوا فقال آبن عباس هي في المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة هي في إرث مولى الموالاة وهي أن يسلم رجل على يد رجل ويتعاقد معه على أنه إذا جنى جناية عقل عنه الآخر وإذا مات ورثه فاذا تعاقدا على ذلك صحت هذه المعاقدة ووقع الارث وإن لم يكن بينهما قرابة نسبية .

الثاني عشر — اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف رضي الله عنهم :

وذلك كاختلافهم في قوله تعالى : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) . أختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله، فقال بعضهم أحد الفريقين أهل الايمان والفريق الآخر عبدة الأوثان من مشركي قريش تبارزوا يوم بدر كما رواه آبن جرير عن أبي ذر .

وقال آخرون أحد الفريقين أهل الايمان والفريق الآخر أهل الكتاب كما روي عن آبن عباس قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله

عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب .

وقال آخرون أحد الفريقين المؤمنون، والفريق الآخر الكافرون كلهم من أي ملة كانوا ، كما روى ذلك عن مجاهد وعطاء ، وعن الحسن قال : هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم. قال ابن جرير الطبري" وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : عَنَى بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين ، وأيّد ذلك بما ذكر قبل وبعد من الآيات .

وكاختلافهم في قوله تعالى: (وأذن في الناس بالحج) . قيل هو خطاب لابراهيم، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والأول هو الصحيح كما أيد بطرق عديدة في الطبري" وغيره .

وكاختلافهم في قوله تعالى : (ومن الأنعام حَمولَةً وفَرْشاً) . قيل الحمولة كالركوبة المراد بها ما يحمل الأثقال من الأنعام، وبالفرش ما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من صوفه ووبره ، وإلى الأول ذهب أبو مسلم وروى عن الربيع بن أنس وإلى الثاني ذهب الجبائي. وقيل الحمولة الكبار الصالحة للحمل، والفرش الصغار الدانية من الارض مثل الفُرُشِ المفروش عليها ، وفي رواية الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه، والفرش الغنم .

٦ — أدوار تاريخ التفسير

حفظه في الصدور ـ ابتداء تدوينه وهو زمن التابعين ـ جمع ما عرف للصحـــابة والتابعين دون ترتيب ـ التفسير حسب ترتيب الآيات بالتمام ـ ويلي ذلك : تاريخ فنون التفسير المهمة ، وتاريخ كل فن ، واحسن المصنفات فيه .

الدور الأول

حفظ التفسير في الصدور

وليعلم ان القرآن قد نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات ، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين لاصحابه تفسيره ، ويعرفهم المراد منه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات،ومقتضى الحال،منها منقولا عنه ، كما علم من قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح) أنها نعي النبي صلى الله عليه وسلم ، وامثال ذلك .

ولم يكن تفسير القرآن في صدر الاسلام يدون في بطون الصحف او يرقم بالسطور ولكنه كان يؤخذ ويحفظ في الصدور ، ولم يكن علماً مستقلا بذاته وعلى ترتيب خاص ولا متصل الحلقات ، والذي صح عن النبى صلى الله عليه وسلم تفسير آيات قليلة بالنسبة الى جميع القرآن ، ولا يختلف في مثل ذلك من ائمة هذا الشأن اثنان ، حتى روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن الا آيات معدودة علمهن اياه جبريل عليه السلام ، وحمل بعضهم كلام عائشة على تفسير ما كان مجملاً ، وشرح ما كان مشكلاً ، وتخصيص العام ،وتقييد المطلق، واخباره بالمغيبات ،ونحوها مما لا سبيل اليه ،الا بتوقيف

من الله تعالى ، فمن الأول الاحاديث الواردة في اعداد الركعات ، وكيفية الصلاة ، ومقدار المعطى في الزكاة ، ومن الثاني تفسيره صلى الله عليه وسلم الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) بانه بياض النهار وسواد الليل . ومن الثالث تخصيصه الظلم بالشرك في قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) فان بعض الصحابه فهم ان الظلم مراد منه العموم، حتى قال اينا لم يظلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس بذاك انما هو الشرك . ومن الرابع تقييد اليد في قوله تعالى (فاقطعوا ايديهما) باليمين، وتقييد الثلاثة ايام في قوله تعالى (فَمَنْ لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم) بالمتتابعة . ومن الخامس إخباره بغالبية الروم على فارس بالكيفية المشهورة وهذا المعنى هو المراد من قوله تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) اذ هو المحتاج للتبيين ، واما النص والظاهر فلا يحتاجان اليه ، وحمله بعضهم على العموم والمراد ايقافهم حسب استعداداتهم المتفاوته على ما خفى عليهم من اسرار القرآن وعلومه التي لا تكاد تحصى ، ومن ثم قال يحيى بن أبي كثير: السنّة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب بقاض على السنّة ، وعن الفضل بن زياد سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن هذا الحديث المفيد ان السنة قاضية على الكتاب فقال : ما اجسر على هذا ان اقوله، ولكنّي اقول : ان السنة تفسر الكتاب وتبينه .

فلما كان عصر الصحابة رضي الله عنهم اثر عنهم تفسير كثير من الآيات وخاصة علي ابن ابي طالب (رض) وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وابيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عَمرو رضي الله عنهم . فقد برز هؤلاء بين الصحابة واشتهروا في تفسير الكثير من الآيات ، وكان اعتمادهم على ما سمعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم او على الاجتهاد منهم، وكان علي بن ابي طالب (رض)هو الفائق على الجميع اخرج ابن سعد عن عليّ (رض) قال : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، وعلى

من نُزلت ، ان ربيّ وهب لي قلباً عقولا ، ولساناً صادقاً ناطقاً ، واخرج ابن سعد ايضاً وغيره عن ابى الطفيل قال : قال عليّ (رض) سلوني عن كتاب الله ، فانه ليس من آية الا وقد عَرَفْتُ بليل نزلت ام بنهار ، في سهل ام في جبل . قال صاحب كشف الظنون ما نصه :

اما المفسرون من الصحابة فمنهم الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الاشعري وعبدالله بن الزبير وانس بن مالك وابو هريرة وجابر وعبدالله بن عمرو بن العاص رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ثم اعلم ان الخلفاء الاربعة اكثر من روي عنه منهم علي ابن ابي طالب ، والرواية عن الثلاثة في ندرة جداً ، والسبب فيه تقدم وفاتهم ، واما علي رضي الله عنه فروي عنه الكثير .

وروي عن ابن مسعود انه قال : ان القرآن انزل على سبعة احرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن عليّاً (رض) عنده من الظاهر والباطن ، واما ابن مسعود (رض) فروى عنه اكثر مما روى عن علي (رض) مات بالمدينة سنة ٣٢ اثنتين وثلاثين هـ .

واما ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المتوفي سنة ٦٨ ثمان وستين بالطائف ، هو ترجمان القرآن ، وحبر الامة ، ورئيس المفسرين ، دعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : اللّهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل ، وقد روي عنه في التفسير مالا يحصي كثرة ، لكن أحسن الطرق عنه طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي المتوفي سنة ١٤٣ ثلاث واربعين ومائة ، واعتمد على هذه البخاري في صحيحه ، ومن جيّد الطرق عنه طريق قيس بن مسلم الكوفي المتوفي سنة ١٢٠ عشرين ومائة عن عطاء بن السائب ، وطريق ابن اسحاق صاحب السير ، واوهى طريقه طريق الكلبي عن ابي صالح ، والكلبي هو ابو النصر محمد بن السائب المتوفي بالكوفة سنة ١٤٦ ست واربعين ومائة فان انضم اليه رواية محمد (١) بن مروان السدّي الصغير

(١) واما السدي الكبير فهو اسماعيل بن عبدالرحمن الاعور الكوفي التابعي المشهور المتوفي سنة ١٢٧ سبع وعشرين ومائة ، والسدي نسبة للسدة وهي ما يبقي من الطاق المسدود والامام المذكور كان يبيع المقانع في سدة باب جامع الكوفة [لمؤلفه عفا الله عنه]

المتوفي سنة ١٨٦ ست وثمانين ومائة فهي سلسلة الكذب ، وكذلك طريق مقـاتل بن سليمان بن بشر الازدي المتوفي سنة ١٥٠ خمسين ومائة ، إلا ان الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الرديئة ، وطريق الضحاك بن مزاحم الكوفي المتوفي سنة ١٠٢ اثنتين ومائة عن ابن عباس منقطعة ، فان الضحاك لم يلقه ، وان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة فضعيفة لضعف بشر ، وقد اخرج عنه ابن جرير وابن ابي حاتم ، وان كان من رواية جُوَيْبر عن الضحاك فاشد ضعفاً لأن جويبراً شديد الضعف متروك ، وانما اخرج عنه ابن مردويه وابو الشيخ ابن حَيَّان دون ابن جرير (١) .

واما ابيّ بن كعب المتوفي سنة ٢٠ عشرين على خلاف فيه فعنه نسخة كبيرة ، يرويها ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عنه ، وهذا اسناد صحيح ، وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أقرأ الصحابة وسيّد القراء .

ومن الصحابة من ورد عنه اليسير من التفسير غير هؤلاء منهم : انس بن مالك بن النضر المتوفي بالبصرة سنة ٩١ إحدى وتسعين ، وابو هريرة عبدالرحمن بن صخر المتوفي بالمدينة سنة ٥٧ سبع وخمسين على خلاف فيه ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب المتوفي بمكة المكرمة سنة ٧٣ ثلاث وسبعين ، وجابر بن عبدالله الانصاري المتوفي بالمدينة سنة ٧٤ اربع وسبعين ، وأبو موسى عبدالله بن قيس الاشعري المتوفي سنة ٤٤ اربع واربعين

(١) اختصر المؤلف رحمه الله القول في الطرق عن ابن عباس رضي الله عنهما اختصاراً شديداً ، وتجدها واضحة بينة في كتاب « التفسير والمفسرون » للأستاذ محمد حسين الذهبي في ترجمته لابن عباس [كتبه مصححه]

وعبدالله بن عمرو بن العاص السهمي المتوفي سنة ٦٣ ثلاث وستين وهو احد العبادلة الذين استقر عليهم امر العلم في آخر عهد الصحابة ، وزيد بن ثابت الانصاري كاتب النبي صل الله عليه وسلم المتوفي سنة ٤٥ خمس واربعين .

الدور الثاني

إبتداء التدوين وذلك من قبل التابعين

وذلك أن التابعين رووا عن الصحابة ما أثر عنهم في التفسير ، وأضافوا إلى ذلك ما كان لهم في هذا الباب معتمدين فيه على الاجتهاد ، وقد تأثر التفسير بالكثير مما ورد في التوراة والانجيل وشروحها في هذا الدور وما قبله ، فإن من أسلم من أهل الكتاب كانوا بحكم إسلامهم يندمجون في جماعة المسلمين، وينقلون اليهم ما ورد في كتبهم مما يساعد على فهم معاني القرآن، فلم ير المسلمون ما يمنع من تفسير القرآن على ضوء تلك المعلومات ، وكان ممن اتصل بالصحابة وله أثر في ذلك وهب بن منبّه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، كما اتصل بالتابعين ابن جريج وغيره ، وقد اتجه العلماء إلى جمع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فكان كل بلد يقومون بجمع ما عرف لأئمة بلدهم .

وفي زمن التابعين كان ابتداء تدوين التفسير والتصنيف فيه . وأول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمة المتوفى سنة ٩٥ خمس وتسعين ،قتله الحجاج ، وكان أعلم التابعين في التفسير ،نص على ذلك قتادة ،وحكاه السيوطي في الإتقان .

وممن اشتهر وصنف في التفسير من التابعين جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٧ سبع وعشرين ومائة، وجماعة من أصحاب ابن عباس، وهم علماء مكة المكرمة شرفها الله تعالى

ومنهم أبو الحجاج مجاهد[1] بن جبر المكي المتوفى سنة ١٠٣ ثلاث ومائة ، قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري ، وعطاء ابن أبي رباح المكي المتوفى سنة ١١٤ أربع عشرة ومائة، وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة ١٠٥ خمس ومائة . وطاوس بن كيسان اليماني المتوفى بمكة سنة ١٠٦ ست ومائة ، ومنهم أصحاب ابن مسعود ، وهم علماء الكوفة، كعلقمة بن قيس المتوفى سنة ١٠٢ اثنتين ومائة والأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٥ خمس وسبعين، وإبراهيم النخعي المتوفى سنة ٩٥ خمس وتسعين، والشعبي المتوفى سنة ١٠٥ خمس ومائة ، ومنهم أصحاب زيد بن أسلم ، كعبد الرحمن ابن زيد ومالك بن أنس، ومنهم الحسن البصري المتوفي سنة ١٢١ إحدى وعشرين ومائة وعطاء بن أبي سلمة ميسرة الخراساني المتوفى سنة ١٣٥ خمس وثلاثين ومائة ، ومحمد بن كعب القرظي المتوفى سنة ١١٧ سبع عشرة ومائة ، وأبو العاليه رفيع بن مهران الرياحي البصري المتوفى سنة ٩٠ تسعين ، والضحاك بن مزاحم الكوفي وعطية بن سعيد العوفي المتوفى سنة ١١١ إحدى عشرة ومائة، وقتادة بن دعامة السدوسي البصري المتوفى سنة ١١٧ سبع عشرة ومائة .

الدور الثالث

في جمع ما عرف للصحابة والتابعين

ثم بعد الدور المتقدم جاء علماء فصنفوا كتب التفاسير التي تجمع كل ما عرف للصحابة والتابعين، في الامصار المختلفة من التفاسير ، إلا أنهم لم يتعرضوا مع هذا لترتيب ما جمعوا حسب ترتيب الآيات القرآنية بالنسق المعهود لدينا الآن ومن هؤلاء : سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون ، وأبو سفيان وكيع بن الجراح

(١) له طرق منها طريق ابن أبي نجيح وطريق ابن جريج وطريق ليث [مؤلفه].

الكوفي المتوفى بـ (فَيْـد)[1] وهو خارج من مكة سنة ١٩٧ سبع وتسعين ومائة، والإمام الحافظ إسحاق بن راهويه المروزي النخعي النيسـابوري المتوفى سـنة ٢٣٨ ثمان وثلاثين ومائتين ، وشعبة بن الحجاج بن ورد المكنى بأبي بسطام مولى الأشاقرة عتاقة المتوفى سنة ١٦٠ ستين ومائة ، ويزيد بن هارون السلمي مولاهم الواسطي المتوفى سنة ٢١٧ سبع عشرة ومائتين، وآدم ابن أبي أياس العسقلاني المتوفى سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين، وعبدالرزاق ابن همام الصنعاني شيخ الإمام البخاري في الحديث المتوفى سنة ٢١١ إحدى عشـرة ومائتين، وروح بن عبادة القيسي المتوفى سنة ٢٠٧ سبع ومائتين ،وأبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد، وعبد الله بن حميد وآخرين من غير هؤلاء .

الدور الرابع

في التفسير حسب ترتيب الآيات بالتمام

وليعلم أن العلماء أخذوا يرتبون التفســير على ترتيب الآي، وذلك في غضون العصر العباسي ، وقد اشتهر من بين التفاسير التي عرفت إذ ذاك تفسير أبي محمد عبد الملك بن جريج المكي الأموي بالولاء ، وتفسير أبي محمد إسماعيـل بن عبد الرحمن الكوفي المعروف بالسدي، وتفسير محمد بن إسحاق، وتفاسير سواها ، وتلك التفاسير على كثرتها وما لها من الشهرة لم تصل إلينا بذاتها ، وإنما نقل إلينا مضمون مافيها محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير المتوفى سنة ٣١٠ عشر وثلثمائة في تفسيره المشهور الآن بأيدينا، قال الإمام السيوطي في الاتقان ، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض، والاعراب، والإستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين .وقد قال النووي : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف في التفسير مثل تفسير الطبري، وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن

---

(١) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٤٠٨) (كتبه مصححه) .

ذلك كثيراً ، وروي أن ابن جرير قال لأصحابه أتنشطون إلى تفسير القرآن ، قالوا كم يكون قدره ، فقال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ذكره ابن السبكي في طبقاته، ونقله بعض المتأخرين إلى الفارسية لمنصور بن نوح الساماني .

ثم يليه تفسير ابن أبي حاتم الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن أدريس التميمي الحنظلي المتوفى سنة ٣٢٧ سبع وعشرين وثلثمائة .

وتفسير ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي بالولاء القزويني المتوفى سنة ٢٧٥ خمس وسبعين ومائتين .

وتفسير الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى سنة ٣١٨ ثمان عشرة وثلثمائة .

وتفسير ابن مردويه الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٠ عشر وأربعمائة .

وتفسير أبي الشيخ ابن حيان أبي عبد الله محمد بن محمد بن جعفر البستي الحافظ المتوفي سنة ٣٥٤ أربع وخمسين وثلثمائة .

وتفسير ابن المنذر الإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨ ثمان عشرة وثلثمائة .

وتفسير أبي الحسن الأشعري علي بن إسماعيل قدرة أهل السنة المتوفى سنة ٣٢٠ عشرين وثلثمائة .

وتفسير أبي الليث نصر بن محمد الفقيه السمرقندي الحنفي المتوفى سنة ٣٨٣ ثلاث وثمانين وثلثمائة . وآخرين من غير هؤلاء .

وقد وقف الناس في ذلك العصر من التفسير مواقف مختلفة ، ففريق يتحرج أن يأتي

بقول من عنده أو يأخذ بغير ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وفريق ثان لا يتحرج أن يفسر القرآن باجتهاده، معتمدين على درايتهم باللغة وأساليبها ، وما يتصل بذلك من العلم بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وقد اشتمل بعض التفاسير على المنهجين كتفسير ابن جرير ،فإنه يروي المأثور، ويأتي بما كان تفسيره عن اجتهاد، وقد أطلق بعضهم اسم التفسير على ما كان مأثوراً، وإسم التأويل على ما كان من طريق الاجتهاد تفرقة بين النوعين .

ثم انتصبت طبقة بعدهم إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد، مثل أبي إسحاق الزجاج النحوي المتوفى سنة ٣١٠ عشرة وثلثمائة ،ويقال لتفسيره (معاني القرآن) ومثل أبي علي الفارسي . وأما أبو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، ومثل مكي بن أبي طالب وأبي العباس المهدوي أحمد بن عمّار ، المتوفى بعد الثلاثة والاربعمائة وقد سمى تفسيره (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) .

ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين ، فاختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال بُتراً ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل عنه من يجيء بعده ، ظاناً أن له أصلاً ، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يُرجع اليهم في التفسير ، قال العلامة السيوطي : حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى (غيرِ المغضوب عليهم) نحو عشرة أقوال ، مع أن الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة والتابعين ليس غير اليهود والنصارى ، حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين .

ولما كثرت العلوم في هذا الحين ، ودوّنت مميزاً بعضها على بعض ، ونهض كل جماعة في ناحية تخصصوا لها وبرعوا فيها ، اخذت كل طائفة تنظر الى القرآن من الجانب الذي اتصل بها وغلب على طبعها من الفن الذي مهرت فيه، واقتصرت عليه، كأن القرآن انزل لأجل هذا

الفن لا غير ، مع ان فيه تبيان كل شيء .

(فالنحوي) تراه ليس له الاّ الاعراب ،وتـكـثير الاوجه المحتملة به وان كانت بعيدة، وينقل قواعد النحو ، ومسائله ، وفروعه ، وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وابي حيان في البحر والنهر .

(والاخباريّ) ليس له شغل الا القصص واستيفاؤها ، والاخبار عما سلف ، سواء كانت صحيحة او باطلة ، ومنهم الثعلبي .

(والفقيه) يكاد يسرد فيه الفقه جميعه ،من باب الطهـارة الى امهــات الاولاد، وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية ، التي لا تعلق لها بالآية اصلا ، والجــواب عن ادلة المخالفين ، كالقرطبي .

(وصاحب العلوم العقلية) خصوصاً الامام فخرالدين الرازي قد ملأ تفسيره باقوال الحكماء والفـلاسفة وشبهها ، وخرج من شيء الى شيء ،حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية ، قال ابو حيان في البحر : جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء (فيه كل شيء الاّ التفسير) .

(والمبتدع) ليس له قصد إلا تحريف الآيات ، وتسويتها على مذهبه الفاسد ، بحيث انه لو لاح له شاردة من بعيد اقتنصها ، أو وجد له موضعاً فيه ادنى مجال سارع أليه ، كما نقل عن البلقيني أنّـه قال : استخرجت من الـكشاف اعتزالاً بالمناقيش ، منها انه قال في قوله سبحانه وتعالى (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) ايّ فوز اعظم من دخول الجنــة ، اشار به الى عدم الرؤية .

قال صاحب مفتاح السعادة بعد كلام : فالذين اخطأوا في الدليل والمدلول طوائف من اهل البدع ،اعتقدوا مذاهب باطلة ، وعمدوا الى القرآن فتأولوه على رأيهم ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين ، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم ، وقد صنفوا تفاسير على اصول مذهبهم ،

مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الاصم والجبائي وعبدالجبار والرماني والزمخشري وامثالهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة ، يدس البدع في كلامه ، واكثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه حتى انه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة حتى قال تاج الدين السبكي (واعلم) ان الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه امام في فنه، الا انه رجل مبتدع ، متجاهر ببدعته ، يضع كثيراً من قدر النبوة ، ويسيء ادبه على اهل السنة والجماعة ، والواجب اجتناب ما في كتابه (الكشاف) من ذلك كله الا ان الأعاجم يدرسونها في هذا الزمان ، فيجب منع من لا يرسخ في الشريعة والسنة قدمه عليها والله اعلم . اهـ

(والملحد) لا تسأل عن كفره والحاده في آيات الله تعالى وافترائه على الله ما لم يقله ، كقول بعضهم في قوله تعالى (ان هي الا فتنتك) ما على العباد أضر من ربهم، وينسب هذا القول الى صاحب (قوت القلوب) ابي طالب المكي [1]، وقول بعضهم في قوله تعالى: (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) ان معناه الحب والعشق، ونسب الى الكواشي في تفسيره، وقول بعضهم في قوله تعالى : (ومن شر غاسق اذا وقب) . انه الذكر اذا قام وانتصب ، وقول بعضهم في قوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده) . ان معناه (من ذلّ) اي من الذل و(ذى) اشارة الى النفس و(يَشْفَ) من الشفاء جواب مَنْ و(عُ) امر من الوعي وصل ذا بلام الذي وقطع عين يشفع وجعلها كلمة مستقلة وكان المعنى (من ذل هذه النفس يَشْفَ عُ هذا الامر) . ومن ذلك ما زعمه بعض الملحدين مما يسمونه بالكشف والشهود في قوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين). وقالوا ان العبد متى حصل له ذلك سقط عنه التكليف بالعبادة ، وهي ليست الا للمحجوبين. ولقد مرقوا بذلك من الدين، وخرجوا من ربقة الإسلام، وجماعة المسلمين . وقد فسّر اليقين بالموت لأنه متيقن اللحوق بكل حي، وبالنصر على الكافرين الذي وعده صلى الله عليه وسلم ، ونبينا الاكرم صلى الله عليه وسلم سيد العابدين، لم يزل وهو حي آتيا بمراسم العبادة، قائماً باعباء التكليف، لم ينحرف عن الجادة، قدر حادّة، أفيقال انه لم يأته عليه

(١) هذا قول مكفر يبعد صدوره كل البعد من امثال أبي طالب المكي [مصححه] .

الصلاة والسلام ذلك اليقين ، حتى توفى ، ولذلك بقى في مشاق التكليف الى ان قدم على رب العالمين ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، وسئل الامام البلقيني عمن فسر بمثل هذا فأفتى بأنه ملحد ، وقد قال تعالى : (ان الذين يُلْحِدون في آياتنا لا يَخْفَونَ علينا) . قال ابن عباس هو ان يوضع الكلام في غير موضعه .

(واما كلام السادة الصوفية في القرآن) فليس بتفسير قال ابن الصلاح في فتاواه : وجدت عن الامام الواحدي انه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فأن كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر [١] . وقال النسفي في عقائده : النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها الى معان يدعيها اهل الباطن الحاد ، وقال التفتازاني في شرحه ، سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة ، واما مايذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان ، قال ابن مسعود : من اراد علم الاولين والآخرين فليتل القرآن ، ومن المعلوم ان هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر ، وقد قال بعض من يوثق به لكل آية ستون الف فهم [٢]

---

(١) قال ابن الصلاح : وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للقرآن العظيم ، فأنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وانما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن ، فإن النظير يذكر بالنظير ، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الايهام والألباس اهـ . كلام ابن الصلاح وفيه القول الفصل في موضوع التفسير الأشاري ، فنحن لا نسيء الظن بهم لأنهم حملوا الآيات على ظواهرها ، ولم يقولوا إن المعانى التي ذكروها - مع صحتها شرعاً في ذاتها - هي المراد من الآيات . ولكننا نستحسن مع ذلك كله أن لو بقيت في صدور أصحابها غير مدونة في الكتب حتى لا يسلك مسالكهم حاقد على الأسلام فيحرف القرآن كما فعل الباطنية وان كان البون بين المسالكين بعيداً (كتبه مصححه) .

(٢) مثل هذه الأقوال البعيدة عن طريق الصواب استند اليها الباطنية في تحريف الكلم عن مواضعه اهـ مصححه .

وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع. قال ابن النقيب ان (ظاهرها) ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر (وباطنها) ما تضمنته من الاسرار التي اطلع عليها ارباب الحقائق، ومعنى قوله (ولكل حرف حد) ان لكل حرف منتهى فيما اراده الله من معناه، ومعنى قوله (ولكل حد مطلع) ان لكل غامض من المعاني والاحكام مطلعاً يتوصل به الى معرفته ويوقف على المراد به. اهـ

وقال تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن: اعلم ان تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعاني الغريبة ليست احالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له [1] ودلت عليه في عرف اللسان، وثَمَّ افهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله تعالى قلبه، وقد جاء في الحديث (لكل آية ظهر وبطن) فلا يصدنك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل هذا احالة كلام الله تعالى وكلام رسوله فليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قالوا لامعنى للآية الا هذا وهم لايقولون ذلك إنما يفسرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها. اهـ

وذكر الشيخ محمد الحفني في حاشيته على الجامع الصغير عند قوله عليه الصلاة والسلام (ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب اوصورة) أهل التصوف يقولون المراد بالكلب النجاسة المعنوية كالعجب وبالبيت القلب وهذا معنى يسمى لب الشريعة وليس هذا تفسيراً للفظ بل معنى آخر مقيس على المعنى الظاهري كما قالوا في قوله تعالى: (يهب لمن يشاء اناثاً) الحسنات (ويهب لمن يشاء الذكور) العلوم (او يزوجهم ذكرانا واناثاً) علوما وحسنات (ويجعل من يشاء عقيما) لاعلم ولا حسنة. وكما قالوا ان معنى قوله تعالى (فاخلع نعليك) ان المراد اخلع الثقلين فلا اعتراض عليهم بان هذا لم يذكره المفسرون لانهم لم يذكروه على وجه تفسير اللفظ بل على وجه القياس على المعنى الظاهر للفظ. اهـ.

(١) قوله ما جلبت الآية له نائب فاعل لقوله مفهوم [كتبه مؤلفه].

وقال العلامة الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) ويا ليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى: (وتفصيلاً لكل شيء) وقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ويا لله العجب كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة، ولا يقول باشتمال قرآن النبي صلى الله عليه وسلم وآياته، وهو كلام رب العالمين، المنزل على خاتم المرسلين، على ما شاء الله تعالى من المعاني، المتحجبة وراء سرادقات تلك المباني، سبحانك هذا بهتان عظيم[1] بل ما من حادثة ترسم بقلم القضاء في لوح الزمان إلا وفي القرآن العظيم إشارة إليها، فهو المشتمل على خفايا الملك والملكوت. وخبايا قدس الجبروت، حتى ان البعض استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة من قوله سبحانه في سورة المنافقين (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده بنفس ذلك النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا مما لا يكاد ينتطح فيه كبشان.

وقد ذكر ابن خلّكان. في تاريخه إن السلطان صلاح الدين لما فتح مدينة حلب أنشد القاضي محيي الدين قصيدة بائية أجاد فيها كل الإجادة وكان من جملتها:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

وكان كما قال، فسئل القاضي من أين هذا، فقال أخذته من تفسير ابن برجان، في قوله

---

(١) رأينا في التفسير الأشاري أن ضرره أكبر من نفعه، ذلك لأنه لم ينقل عن أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، وهم كانوا أعمق علماً. وأصح ديناً ورأياً وفهماً، وأصدق ولاية وإخلاصاً لله، ممن جاء بعدهم، ولأنه ذريعة الى التلاعب بكتاب الله، والى تحريف آيات القرآن عما أنزلت لأجله، كما فعل الباطنية الذين أرادوا هدم الاسلام فرد الله كيدهم في نحورهم، والاستدلال للتفسير الأشاري بالآيات القرآنية، وببعض الآثار، فيه بعد عن معانيها وما تهدف اليه، والقرآن حقاً من جوامع الكلم، وهو حمال ذو وجوه، ولكن هذه الوجوه وتلك المعاني مما تدل عليه الآيات لغة صريحاً أو دلالة، وان أردت أمثلة لذلك فأمامك تفسير ابن جرير - وليت ساداتنا الصوفية طووا هذه الأشارات في صدورهم، ولم يدونوها في الكتب، حتى لا تتخذ ذريعة لمن في قلوبهم مرض، وليت المؤلف رحمه الله أكمل عبارة ابن الصلاح فيما سبق حتى يتبين للقارىء أنه غير راض عن هذا المسلك في تفسير القرآن حماية له من العبث (كتبه مصححه)

تعالى : (الٓمٓ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) قال المؤرخ فلم أزل أتطلب التفسير ، حتى وجدته على هذه الصورة ، وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراجه وله نظائر كثيرة .

ومن المشهور استنباط ابن الكمال فتح مصر على يد السلطان سليم من قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون) فالانصاف كل الانصاف التسليم للسادة الصوفية ، الذين هم مركز للدائرة المحمدية ، ما هم عليه ، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل ـ لكثرة العوائق والعلائق ـ اليه .

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار ا هـ كلام الآلوسي

وذكر العلامة الشوكاني : في تفسيره المسمى (فتح القدير)ما نصه : أخرج ابن سعد في الطبقات وأبو نعيم في الحلية عن أبي قلابة قال : قال أبو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وأخرج ابن سعد ان علياً (رض) قال لابن عباس : إذهب اليهم ـ يعني الخوارج ـ ولا تخاصمهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة ، فقال أنا أعلم بكتاب الله منهم ، فقال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه .

وقال الزمخشري : من حق تفسير القرآن أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدي سليماً من القادح ، وأما الذين تأيدت فطرتهم النقية ، بالمشاهدات الكشفية ، فهم القدوة في هذه المسالك ، ولا يمنعون أصلاً عن التوغل في ذلك .

وبالجملة إن قدماء المفسرين كانوا على طريقة مؤلفي عصرهم ، من إيراد الأقوال والأحاديث مسندة إلى رواتها ، منقولة بوجوه متعددة ، واقتصروا فيها على شرح المعاني ، وإيراد الأحاديث الدالة على ذلك ، مع بيان الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، ومقتضيات الحال ، وما أشبه ذلك ، مما كان متداولاً في عصر الصحابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم يعنوا

بشرح اللغة، ودقائق الاعراب، ونكات البيان، لأن ملكة اللغة كانت في زمنهم لم تنحط إلى درجتها التي وصلت اليها بعدهم، بل كانت علوم اللسان يومئذٍ غير مدونة، وكانت المعرفة إلى السليقة والفطرة أقرب منها إلى التعليم، ولم تكن هذه المباحث يومئذ معدودة في التفسير، حتى إذا دونت الكتب، وكثر المؤلفون، وبَعُدَ عصر العربية الفصحى، أصبح هذا البحث من أركان علم التفسير، وعنى به المحققون من المفسرين، وظهر في العصر السادس الهجري كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري، جامعاً لغرائب الفنون من علوم اللسان، شارحاً دقائق البيان ونكات البلاغة، وعلى أيّ حال فهذه العلوم التي ظهرت في العصر العباسي، على اختلاف أنواعها من النحو والصرف والتاريخ وغيرها، تعاونت كلّها على فهم كلام الله تعالى، وأضاءت السبل للمفسرين، فكانوا بنبراسها مستضيئين، فاتّسع لذلك نطاق التفاسير، وأصبحت المواد كثيرة، والمراجع موفورة ميسورة، وتهيأ للناس التفسير بعد أن وجدوا بين تلك المؤلفات ما يسد حاجتهم، وسهل على الباحثين أن يسهبوا في المسائل، أو يوجزوا في نَقْلِ المباحث والدلائل.

٧ — علوم التفسير وفنونه

والى هذا المقام كانت العناية موجهة الى تاريخ التفسير الجاري على ادواره من حيث الكتب الجامعة لألفاظه، الشارحة لمتونه، لغرض من الاغراض الصحيحة، وناحية من نواحيه الفسيحة. ولا يخفى ان خيرة المسلمين، والعلماء الفاضلين من المفسرين، كما عنوا بذلك، عنوا بالتأليف في فروع علم التفسير، وذلك كعلم طبقات المفسرين، وعلم القراآت وعلم ناسخ القرآن ومنسوخه، وعلم أسباب النزول بتفرعاته، وعلم معرفة إعراب القرآن، وعلم بدائع القرآن، وعلم متشابه القرآن، وعلم أقسام القرآن، وعلم أمثال القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم احكام القرآن، وعلم خواص القرآن، وعلم جدل القرآن، وعلم

مبهمات القرآن ، وعلم مشكل القرآن ، وعـلم مفردات القرآن ، وعـلم آداب تلاوة القرآن ، وعلم غريب القرآن ، وعلم فواصل الآي ، وعلم فواتح السور ، وعلم معرفة الوجوه والنظائر ، وعلم غريب التفسير ، وعلم مناسبات الآي والسور ، وعلم فضائل القرآن وفاضله وافضله ، وعلم حقيقة الفاظ القرآن ومجـازها ، الى غير ذلك من جليل الاغراض وفنون الأقسام .

ولما كان علم القرآن بحراً لا تنقضي عجائبه ، وطوداً شامخاً لا تنـال غرائبه ، وله فروع لا تحصى ، وفنون لا تستقصى ، قصدت ان أتعرض لذكر ما يفي به قوة التحرير ، ويساعد عليه لسان التقرير ، من بيان انواعه الشهيرة مفرداً كلّ نوع بفصل على حدة ، مُقْروناً ذلك بذكر أحسن المنقولات فيه ، حتى يتجلى تاريخ التفسير من جميع نواحيـه . والله الموفق الى سبيل الرشاد .

١ — علم طبقات المفسرين

صنف في طبقات المفسرين جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة وقد طبع في مطبعة (ليدن) سنة ١٨٣٩ تسع وثلاثين وثمانمائة بعد الألف ميلادية ، والمولى محمد بن علي بن أحمد الداودي المالـكي فرغ من تبييضه سنة ٩٤١ إحدى وأربعين وتسعمائة قال : وقد طالعت على هذا الـكتاب ، الطبقات لابن السبكي ، وابن قاضي شهبه ، وطبقات ابن فرحون ، وطبقـات الحنابلة وغيرها . ابتدأ في أول كتابه بعـد البسملة بحرف الألف مَن اسمه أبان ثم على حروف التهجي ، وهو أحسن مما صنف فيه الشيخ أبو سعيد صنع الله الـكوزة كناني المتوفى سنة ٩٠٨ ثمان وتسعماية .

ولنذكر طبقات المفسرين حسب ترتيب القرون على التعاقب والتوالي مبتدئين بالأول فالأول .

(ففي المائة الأولى) :

الصحابة الكرام، والتابعون الفخام، وذلك الخلفاء الأربعة، وعبدالله بن عباس، وعبدالله ابن مسعود، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبدالله، وزيد بن ثابت، وأبو موسى، وأبو العالية رفيع بن مهران المتوفى سنة ٩٠ تسعين، والأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٠ سبعين، وإبراهيم النخعي المتوفى سنة ٩٥ خمس وتسعين، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جُبَيرٍ المتوفى سنة ٩٥ خمس وتسعين، وتفسيره أول تفسير ظهر ودون في هذا القرن .

(وفي المائة الثانية) :

ظهر من تفاسير التابعين تفسير جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة، وتفسير شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ ستين ومائة، وسفيان بن عينيه المتوفى سنة ١٩٨ ثمان وتسعين ومائة، ومجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة ١٠٤ أربع ومائة، وزيد بن أسلم المدني المتوفى سنة ١٣٦ ست وثلاثين ومائة، ويزيد بن هرون المتوفى سنة ١١٧ سبع عشرة ومائة، وتفسير أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي المعروف بالسدي المتوفى سنة ١٢٧ سبع وعشرين ومائة، وسعيد بن مقاتل المتوفى سنة ١٥٠ خمسين ومايه، وعطاء ابن أبي سلمة المتوفى سنة ١٣٥ خمس وثلاثين ومائة، وتفسير ابن جريج (بجيمين مُصَغَّراً) = عبد الملك بن عبدالعزيز الأموي المكي المتوفى سنة ١٥٠ خمسين ومائة، وتفسير وكيع ابن الجراح الامام الزاهد أبى سفيان المتوفى سنة ١٩٧ سبع وتسعين ومائة .

(وفي المائة الثالثة) :

ظهر تفسير اسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨ ثمان وثلاثين ومائتين، وتفسير ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ ثلاث وسبعين ومائتين .

(وتفسير الدينوري) أحمد بن داود النحوي اللغوي المتوفى سنة ٢٩٠ تسعين ومائتين

(وتفسير محمد بن جرير الطبري) المتوفى سنة ٣١٠ عشر وثلمائة .

(وآدم ابن أبي أياس العسقلاني) المتوفى سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين .

(وتفسير بقيّ بن مخلد) هو الشيخ الامام الحافظ أبو عبدالرحمن بقيّ بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ ست وسبعين ومائتين ، وهو صاحب المسند قال ابن حزم ما صنف تفسير مثله أصلاً وكان مجتهداً لا يقلد أحداً بل يفتي بالأثر .

(وتفسير عبد بن حميد بن نصر الكشي) المتوفى سنة ٢٤٩ تسع وأربعين ومائتين .

(وتفسير الاشج) أبي سعيد عبد الله بن سعد الكندي المتوفى سنة ٢٥٧ سبع وخمسين ومائتين ذكره الثعلبي .

(وفي المائة الرابعة) :

عرف (تفسير الرماني أبي الحسن علي بن عيسى النحوي) المتوفى سنة ٣٨٤ أربع وثمانين وثلمائة .

و (أبي أحمد عبد الله بن محمد بن ناصح بن شجاع) المفسر المصري المتوفى سنة ٣٦٥ خمس وستين وثلمائة .

و (الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري) المتوفى سنة ٣١٨ ثمان عشرة وثلمائة .

و (ابن مردويه الاصبهاني) و (ابن حيان) و (أبي الحسن الأشعري) و (أبي الليث السمرقندي) و (ابن المنذر) .

وتفسير (أبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي الحنفي المعروف بالكعبي المعتزلي) المتوفى سنة ٣١٩ تسع عشرة وثلمائة .

وتفسير (الادفوي محمد بن علي بن أحمد المقرئ النحوي) المتوفى سنة ٣٨٨ ثمان

وثمانين وثلثمائة المسمى بالاستغناء في علم القرآن في مائة وعشرين مجلداً صنفه في اثنتي عشرة سنة .

وتفسير الامام (الخرقي [1] أبي القاسم عمر بن حسين الدمشقي الحنبلي) المتوفى سنة ٣٣٤ أربع وثلاثين وثلثمائة .

وتفسير (خلف بن أحمد صاحب سجستان) المتوفى سنة ٣٩٩ تسع وتسعين وثلثمائة .

وتفسير (ابن عطية) القديم وهو أبو محمد عبد الله بن عطية الدمشقي . المتوفى سنة ٣٨٣ ثلاث وثمانين وثلثمائة .

وتفسير (قتيبة بن أحمد بن شريح البخاري) المتوفى سنة ٣١٦ ست عشرة وثلثمائة . وهو كبير .

وتفسير تاج المعاني في تفسير السبع المثاني للشيخ أبي نصر منصور ابن أبي سعيد بن أحمد بن الحسن ألفه في سنة ٣٥٣ ثلاث وخمسين وثلثمائة .

(وفي المائة الخامسة) :

عرف (البسيط في التفسير للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري) المتوفى سنة ٤٦٨ ثمان وستين وأربعمائة ، وله أيضاً (الوسيط) و(الوجيز) وتسمى هذه الثلاثة الحادي لجميع المعاني وله الوسائل في التفسير أيضاً .

وتفسير (امام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني) المتوفى سنة ٤٧٨ ثمان وسبعين وأربعمائة .

وتفسير (الكشف والبيان في تفسير القرآن) لأبي اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي

---

(١) بهامش نسخة المؤلف هذه العبارة مكتوبة بغير المداد الذي كتب به وبخط غير خطه : (الخرقي نسبة الى خرق بالفتح قرية من أصفهان كذا في طبقات السبكي اهـ فضلي)

النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ سبع وعشرين وأربعمائة .

و (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) في التفسير لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي التميمي . المتوفى بعد الثلاثين والأربعمائة .

وتفسير (الماوردي ابي الحسن علي بن حبيب الشافعي) المتوفي سنة ٤٥٠ خمسين واربعمائة . ومختصره (للشيخ ابي الفيض محمد بن علي بن عبدالله الحلي)

وتفسير (الامام ابي القاسم عبدالكريم بن هوازن الشافعي القشيري) المتوفي سنه ٤٦٥ خمس وستين واربعمائة . وهو من اجود التفاسير وسماه (التيسير في التفسير)

وتفسير (السمعانى الامام ابي المضفر منصور بن محمد المروزي الشافعي) المتوفي سنة ٥٠٠ خمسمائة .

وتفسير (مكي بن ابي طالب القيسيالنحوي المغربي) المتوفي سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين واربعمائة وهو في خمسة عشر مجلداً .

وتفسير (الشيرازي ابي محمد عبدالوهاب بن محمد الشافعي) المتوفي سنة ٥٠٠ خمسمائة قيل ضمنه مائة الف بيت من الشواهد .

و (البرهان في تفسير القرآن) للشيخ ابى الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي المتوفي سنة ٤٣٠ ثلاثين واربعمائة ، وهو كتاب كبير في عشر مجلدات ذكر فيه الإعراب والغريب والتفسير .

وتفسير (ابي منصور عبدالقادر بن طاهر البغدادي الشافعي) المتوفي سنة ٤٧٨ ثمان وسبعين واربعمائة .

وتفسير (الاصفهاني القديم ابي مسلم محمد بن على الاصبهاني المعتزلي الاديب) المتوفي سنة ٤٥٩ تسع وخمسين واربعمائة .

و (ياقوت التأويل في تفسير التنزيل) في اربعين مجلداً للامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي . المتوفي سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة .

(وفي المائة السادسة) :

ظهر تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل) للامام العلامة ابى القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي. المتوفي سنة ٥٢٨ ثمان وعشرين وخمسمائة ، ولقد طار صيت هذا التفسير في اقصي المشرق والمغرب ، ولما علم مصنفه انه بهذا الوصف قد تجلى ، قال : تحدّثاً بنعمة ربه وشكراً :

ان التفاسير في الدنيا وان كثرت فليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وتفسير (الاصبهاني) الشيخ الحافظ ابى القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي المتوفي سنة ٥٣٥ خمس وثلاثين وخمسمائة له تفاسير منها الكبير المسمى بالجامع في ثلاثين مجلداً و (المعتمد) في عشر مجلدات .

و (الغرائب والعجائب) في تفسير القرآن الكريم للامام الفقيه ابى القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني .

و (المغنى في التفسير) للشيخ الامام ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزى البغدادي المتوفي سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة ، وله تفسير آخر يسمى (زاد المسير)

و (ايجاز البيان في معاني القرآن) لنجم الدين ابي القاسم محمود بن ابي الحسن النيسابوري القزويني الملقب ببيان الحق . وهو يشتمل على اكثر من عشرة آلاف فائدة فرغ من تأليفه سنة ٥٥٣ ثلاث وخمسين وخمسمائة .

و (النكت والعيون) في التفسير لابى الحسن علي بن محمد البصري الماوردي المتوفي سنة ٤٥٠ خمسين واربعمائة .

وتفسير (الطوسي ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي) فقيه الشيعة كان ينتمي الى مذهب الشافعي المتوفي سنة ٥٦١ احدى وستين وخمسمائة سماه (مجمع البيان لعلوم القرآن) واختصر الكشاف وسماه (جوامع الجامع) وابتدأ بتأليفه في سنة ٥٤٢ اثنتين واربعين وخمسمائة . قال السبكي واحرقت كتبه عدة نُوَبٍ بمحضر من الناس ، ويقال له (الطَّـبَرْسِي) ايضاً بالطاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين والراء الساكنة بعدها سين مهملة نسبة الى (طَبَرِسْتان) بفتح الطاء والباء وكسر الراء كما في (معجم البلدان)، والطَّبَر بالتحريك هو الذى يشقق به الحطب وما شاكله ومعنى (ستان) الموضع او الناحية ومعنى (طبرستان) من غير تعريب موضع الأطبار ...

و (ينبوع الحياة) في التفسير لأبي عبد الله بن ضفر محمد بن محمد الصقلي المتوفى سنة ٥٦٧ سبع وستين وخمسمائة في عدة مجلدات .

و (معالم التنزيل) للإمام محيي السنّة أبي محمد حسين بن مسعود الفرّاء البغوي المتوفى سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة وهو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، واختصره الشيخ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن محمد الحسيني المتوفى سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة .

و (التيسير في علم التفسير) لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفى بسمرقند سنة ٥٣٧ سبع وثلاثين وخمسمائة .

و (تفسير البيهقي) أبي المحاسن مسعود بن علي البيهقي الملقب بفخر الزمان المتوفي سنة ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة .

و (تفسير ابن الدهان) سعد بن مبارك النحوي المتوفى سنه ٥٦٩ تسع وستين وخمسمائة .

و (تفسير ابن أبي مريم) نصر بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٥٦٥ خمس وستين وخمسمائة

و (تفسير أبي الحسن) علي بن عبد الله الأنصاري المالكي المتوفى سنة ٥٦٧ سبع وستين وخمسمائة .

و (تفسير حجة الأفاضل) علي بن محمد الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٠ ستين وخمسمائة .

و (تفسير الخوارزمي) أبي الحسن علي بن عراق بن محمد بن علي العمراني الحنفي المتوفى سنة ٥٣٩ تسع وثلاثين وخمسمائة .

و (تفسير العتابي) الإمام أبي نصر أحمد بن محمد الحنفي المتوفى سنة ٥٨٦ ست وثمانين وخمسمائة .

و (تفسير العراقي) علم الدين عبد الكريم بن علي الشافعي المتوفى سنة ٦٠٤ أربع وستمائة .

و (تفسير العلائي) علاء الدين محمد بن عبد الرحمن البخاري المعروف بالعلاء الزاهد المتوفي سنة ٥٤٦ ست وأربعين وخمسمائة وهو كبير أزيد من ألف جزء .

و (تفسير الرازي) المسمى مفاتيح الغيب وهو المعروف بالتفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ ست وستمائة .

و (تفسير التفسير) لناصر الدين عالي بن إبراهيم بن اسماعيل الغزنوي الحنفي المتوفي سنة ٥٨٢ اثنتين وثمانين وخمسمائة وهو في مجلدين .

و (تفسير أبي البقآء) عبد الله بن الحسين العكبري المتوفي سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة وهو غير أعرابه .

و(زاد المسير في علم التفسير) في أربعة أجزاء لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي المتوفي سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة وله أيضاً تذكرة الأديب في التفسير .

و (تفسير النعماني) ظهير الدين أبي علي الحسن بن الخطير بن أبي الحسين الفارسي المتوفي سنة ٥٩٨ ثمان وتسعين وخمسمائة .

و (تفسير بن أبي جمرة) بالجيم الإمام الحافظ عبد الله بن سعيد الأزدي الأندلسي المتوفي سنة ٥٢٥ خمس وعشرين وخمسمائة .

(وفي المائة السابعة) :

عرف (تفسير القاضي) ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفي سنة ٦٨٥ خمس وثمانين وستمائة واسمه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وهو تفسير عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالأعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإِشارات وضم اليه ما ورى اليه زناد فكره من الوجوه .. المعقولة والتصرفات المقبولة فجلا رَيْنَ الشك عن السريرة .. وزاد في العلم بسطة وبصيرة كما قال مولانا المنشى :

أولو الألباب لم يأتوا بكشف قناع ما يتلى
ولكن كان للقاضي يد بيضاء لا تبلى

و (نهاية التأميل في أسرار التنزيل) في التفسير لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بابن الزملكاني المتوفي سنة ٦٥١ إحدى وخمسين وستمائة .

و (التيسير في علم التفسير) للشيخ عبد العزيز بن أحمد الديريني المتوفي سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة . وهو منظوم في إرجوزة تزيد على ثلاثة آلاف بيت ومائتي بيت .

و التفسير المسمى (غرائب القرآن ورغائب العرفان) للعلامة نظام الدين حسن بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج .

و (تفسير ابن عبد السلام) شيخ الإسلام عزالدين عبدالعزيز بن عبد السلام المصري الشافعي المتوفي سنة ٦٦٠ ستين وستمائة .

و (التحرير والتحبير، لأقوال أئمة التفسير، في معاني كلام السميع البصير) للعلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب المقدسي الحنفي المتوفي سنة ٦٩٨ ثمان وتسعين وستمائة . وهو كبير في نيف وخمسين مجلداً .

و (تفسير النسفي) المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل وهو الإمام الحافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١ إحدى وسبعمائة وقيل ٧١٠ عشر وسبعمائة وهو تفسير وسط بين التفاسير .

و (تفسير ابن عربي) الشيخ محي الدين محمد بن علي الطائي الأندلسي المتوفي سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة صنف تفسيراً كبيراً على طريقة أهل التصوف في مجلدات قيل أنه في ستين سفراً وهو إلى سورة الكهف وله تفسير صغير في ثمانية أسفار على طريقة المفسرين .

و (الارشاد في تفسير القرآن) للشيخ الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن بُرجان اللخمي الاشبيلي المتوفى سنة ٦٢٧ سبع وعشرين وستمائة ، ويقال في نسبه عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي . ولعل ابن برجان مخفف من ابن أبي الرجال ومقتضاه أن يكون باللام لا بالنون ...

و (تفسير الدبيري) سعيد الدين عبد العزيز بن أحمد الحنفي المتوفي سنة ٦٩٣ ثلاث وتسعين وستمائة .

و (تفسير ابن رزين) القاضي تقي الدين محمد بن الحسين الحموي الشافعي المتوفي سنة ٦٨٠ ثمانين وستمائة .

و (تفسير ابن سيد الكل) ابي القاسم هبة الله بن عبدالله القفطي المتوفي سنة ٦٩٧ سبع وتسعين وستمائة وهو الى سورة مريم .

و (تفسير نجم الدين) أحمد بن عمر الخيوفي المعروف بالكبرى الشافعي المتوفي شهيداً سنة ٦١٨ وهو كبير في اثنى عشر مجلداً .

و (عين الحياة) ... في التفسير لنجم الدين الرازي المتوفي في ربيع الاول سنة ٦١٨ ثمان عشرة وستمائة .

و (تفسير نجم الدين) .. بشير بن ابي بكر بن حامد بن سليمان بن يوسف الزيني التبريزي الشافعي . المنوفي بمكة سنة ٦٤٦ ست واربعين وستمائة وهو كبير في مجلدات

و (تفسير برهان الدين) ابي المعالي احمد بن ناصر بن طاهر الحسينى الحنفي المتوفي سنة ٦٨٩ تسع وثمانين وستمائة في سبع مجلدات .

و (تفسير المريسي) .. شرف الدين ابي الفضل محمد بن عبدالله بن محمد بن ابي الفضل بن محمد الشافعي المتوفي سنة ٦٥٥ خمس وخمسين وستمائة وهو كبير في عشرين مجلداً قصد فيه ارتباط الآيات بعضها ببعض وبين وجوهه وله تفسير اوسط في عشرة اجزاء وصغير في ثلاثة اجزاء اعني مجلداً .

و (البيان في تفسير القرآن) لمعافى بن اسماعيل بن الحسين بن ابي سفيان الموصلي المتوفي سنة ٦٣٠ ثلاثين وستمائة .

و (نهاية البيان) . في تفسبر القرآن لابي محمد جمال الدين المعافا بن اسماعيل بن الحسين بن ابي البيان الشافعي الموصلي المتوفي سنة ٦٣٠ ثلاثين وستمائة في ستة مجلدات .

و (تفسير الكواشي) موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلي الشيباني الشافعي المتوفي سنة ٦٨٠ ثمانين وستمائة ، وهو اثنان كبير سماه التبصرة وصغير وسماه التلخيص .

و (وتفسير القرطبي) . المسمى جامع احكام القرآن للشيخ الامام ابي عبدالله محمد بن أحمد

بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي القرطبي المالكي المتوفي سنة ٦٧١ احدى وسبعين وستمائة .

(وفي المائة الثامنة) :

عرف (تفسير ابن عقيل) عبدالله بن عبدالرحمن المصري النحوي الهاشمي المتوفي سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة وهو الى آخر آل عمران وقد اعتنى به ما لم يعتن بغيره ذكره الشعراني وقال ما طالعت اوسع منه .

و (تفسير ابن النقاش) شمس الدين محمد بن علي المتوفي سنة ٧٦٣ ثلاث وستين وسبعمائة وهو تفسير كبير جداً التزم ان لا ينقل فيه حرفاً عن احد ذكره السيوطي في النحاة .

و (تفسير الزركشي) الشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الموصلي الشافعي المتوفي سنة ٧٩٤ اربع وتسعين وسبعمائة الى سورة مريم .

و (تفسير الحدادي) ابي بكر بن علي المصري الحنفي المتوفي في حدود سنة ٨٠٠ ثمانمائة سماه (كشف التنزيل في تحقيق التأويل) في مجلدين ضخمين .

و (تفسير ابي حيّان) الشيخ اثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ خمس واربعين وسبعمائة وهو كتاب عظيم سمّاه (البحر المحيط) في ثمان مجلدات ثم اختصره في مجلدين وسمّاه (النهر الماد من البحر) ومختصر تلميذه الشيخ تاج الدين أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم المتوفي سنة ٧٤٧ سبع واربعين وسبعمائة اسمه (الدّر اللقيط) اقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطية والزمخشري ورده عليهما ووضع (ش) علامة للزمخشري و (ع) لابن عطية و (ح) لابي حيان اوله الحمد لله الذي انزل القرآن وجعله حجة الخ .

و (تفسير اكمل الدين) محمد بن محمود البابربي الحنفي المتوفي سنة ٧٨٦ ست وثمانين وسبعمائة .

و (تفسير السمعاني) ابى المكارم علاء الدولة أحمد القاضي بالري المتوفي سنة ٧٣٧

سبع وثلاثين وسبعمائة وهو كبير في ثلاثة عشر مجلداً .

و (تفسير سراج الدين) أبي حفص عمر بن اسحاق الهندي الحنفي المتوفي سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة .

و (تفسيرعلاء الدين) علي بن محمد البغدادي المتوفي سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة.

و (تفسير ابن عرفة) المتوفي سنة ٨٠٣ ثلاث وثمانمائة المكنى بأبي عبد الله محمد بن عرفة المالكي ، روى عنه تلميذه أحمد بن محمد البسيلي المتوفي سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة وجمع ما حفظه عنه أو عن بعض حذاق طلبته زيادة على كلام المفسرين .

و (تفسير المقدسي) شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحنبلي المتوفي سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة .

و (تفسير ابن كثير) الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٠٤ أربع وسبعين وسبعمائة وهو كبير في عشر مجلدات فسر بالأحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحاً وتعديلاً وهذا الإمام هو تلميذ شيخ الاسلام ابن تيميّة الحراني رحمه الله .

و (تفسير الرشيدي) هو الخواجة رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمداني المتوفي سنة ٧١٨ ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان وزيراً للسلطان أبي سعيد وهو صاحب الجامع وقد قرظ عليه أكثر من مائتي عالم لكونه مشتملاً على مباحث من التفسير .

و (عيون التفاسير للفضلاء السماسير) للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي المتوفي سنة ٨٠٣ ثلاث وثمانمائة .

و (اللّباب في معاني التنزيل) للشيخ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن . فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة .

و (فتح القدير في التفسير) لابن جبارة أحمد بن محمد بن عبد الولي المقدسي المتوفي سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة .

و (الكفيل بمعاني التنزيل) وهو تفسير المعهادي الكندي قاضي اسكندرية النحوي المتوفي سنة ٧٢٠ عشرين وسبعمائة .

و (التأويل لمعالم التنزيل) للشيخ علي بن محمد الشيخي البغدادي المتوفي سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة وهو تفسير كبير ذكره ابن حجر في الدرر .

و (روض الجنان في تفسير القرآن) عشر مجلدات لهبة الله بن عبد الرحيم الحموي شرف الدين البارزي المتوفي سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة .

و (فتح المنان في تفسير القرآن) وهو كبير في أربعين مجلداً للعلامة قطب الدين محمود ابن مسعود الشيرازي المتوفي سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة وهو المعروف بتفسير العلامي .

و (الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز) للإمام زين الدين محمد بن شمس الدين أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب مختار الصحاح في اللغة من علماء القرن الثامن كان موجوداً في سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة .

(وفي المائة التاسعة) :

عرف (تفسير الجلالين) من أوله إلى آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفي سنة ٨٦٤ أربع وستين وثمانمائة ، ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة كتب تتمته على نمطه بتعبير وجيز (١) .

و (جامع التبيان في تفسير القرآن) للشيخ نور الدين السيد معين بن السيد صفي الدين

---

(١) هذا سهو من المؤلف رحمه الله تبع فيه صاحب (كشف الظنون) والصواب أن الجلال المحلى فسر من أول سورة الكهف الى نهاية القرآن الكريم ثم فسر سورة الفاتحة وبعد أن أتمها لحق بربه عز وجل فجاء الجلال السيوطي وأكمل تفسيره ففسر من أول سورة البقرة الى نهاية سورة الاسراء ، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلى بعد تفسير سورة الناس ، يدل على ذلك ما كتبه السيوطي في مقدمة هذا التفسير قبل شروعه في تفسير سورة البقرة وما كتبه بعد الفراغ من سورة الاسراء فليراجع [كتبه مصححة] .

المتوفي سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وثمانمائة بمكة أوله الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، أتمه في مكة المكرمة سنة ٨٧٠ سبعين وثمانمائة .

و (بحر العلوم في التفسير) للشيخ الفاضل السيد علاء الدين علي بن يحيي السمرقندي ثم القراماني تلميذ الشيخ علاء الدين البخاري المتوفي في حدود سنة ٨٦٠ ستين وثمانمائة بـ (لارنده)، وهو كتاب كبير فيه فوائد جليلة ، انتخبها من كتب التفاسير ، وأضاف اليها فوائد من عنده بعبارات فصيحة وانتهى الى سورة المجادلة في أربعة مجلدات .

و (تفسير أبي السعود) محمد العمادي شيخ الاسلام ومفتي الأنام المتوفى سنة ٨٨٢ اثنتين وثمانين وثمانمائة المسمى بارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم .

و (تفسير البُلْقيني) علم الدين صالح بن السراج عمر البلقيني الشافعي المتوفي سنة ٨٦٨ ثمان وستين وثمانمائة - ولأخيه جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني المتوفي سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة تفسير البيان .

و (تفسير حسين بن علي) الكاشفي الواعظ المتوفي في حدود ٩٠٠ تسعمائة وهو تفسير فارسي متداول في مجلد سماه بالمواهب العلية .

و (تفسير ابن الضياء) المتوفي سنة ٨٥٤ أربع وخمسين وثمانمائة .

وتفسير الشيخ علاء الدين علي بن محمد البسطامي الشهير بمصنفك ، وانما لقب بذلك لاشتغاله بالتصنيف في حداثة سنه ، والكاف في لغة العجم للتصغير ، المتوفى سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة .

و (تفسير ابن جماعة) للقاضي برهان الدين المتوفي سنة ٩٠ تسعين وثمانمائة وهو تفسير كبير في نحو عشر مجلدات وفيه أمور غريبة .

و (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ نور الدّين المتوفي سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وثمانمائة .

و (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) بمجلدين لمجد الدين أبي طاهر محمد ابن يعقوب الفيروز ابادي الشيرازي المتوفي سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة .

و (تنوير المقباس) في تفسير ابن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشافعي المتوفي سنة ٨١٧ سبع عشرة وثمانمائة .

و (تفسير الجامي) الفاضل نورالدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي المتوفى سنة ٨٩٢ اثنتين وتسعين وثمانمائة .

و (تفسير بدر الدين) محمود بن اسرائيل بن قاضي سماوة المتوفي سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة وهو في مجلدين وفي أطرافه هوامش في غاية اللطافة .

و (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري الثعالبي المتوفي سنة ٨٧٦ ست وسبعين وثمانمائة ، ذكر فيه زبدة ما في تفسير ابن عطية وأبي حيان واعراب الصفاقسي وجعل لهم رموزاً وهو تفسير نفيس .

و (الجواهر في علم التفسير) لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة .

(وفي المائة العاشرة) :

ظهر (تفسير الغزي) الشيخ بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد العامري الشافعي المتوفي سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة وهو تفسير منظوم وانكر كثير من العلماء عليه نظمه لأنه يؤدي الى اخراج القرآن العظيم عن نظمه الشريف لادخاله في الوزن ما لم يكن من النظم الشريف .

و (تفسير بدر الدين) محمود الأيديني المتوفي سنة ٩٥٦ ست وخمسين وتسعمائة .

و (جوامع التبيان) في التفسير للسيد الفاضل معين الدين محمد بن عبدالرحمن الإيجي الصفوي ، ذكر فيه ان والده شرع فيه فكتب من سورة الانعام نبذاً فترك وقال انت مأمور بذلك ، فاستخار الله سبحانه وتعالى في الملتزم فشرع في الروضة في الثاني من جمادى الآخرة سنة ٩٠٤ أربع وتسعمائة واختتمه .

و(تفسير ابن كمال باشا) الفاضل العلامة شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال المتوفي سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة بلغ فيه الى سورة الصافات وهو تفسير لطيف فيه تحقيقات شريفة وتصرفات عجيبة .

و (تفسير القراماني) الشيخ أحمد بن محمود الأصم المتوفي سنة ٩٧١ احدى وسبعين وتسعمائة وهو في اثني عشر مجلداً ولم يكمله .

و (تفسير المنشى) محمد بن بدر الدين صاروخاني المتوفي بالمدينة في حدود سنة ١٠٠٠ الف وهو تفسير وجيز كتفسير الجلالين اورد فيه نخب الاقوال وبين فيه من الاعراب ما تقتضيه الحال مقتصراً على رواية حفص لشهرته في البلاد الرومية وسماه (نزيل التنزيل في التفسير)

و (الصحائف في التفسير) لشمس الدين محمد السمرقندي وأتمه الشيخ أحمد بن محمود القرماني الأصم المتوفي سنة ٩٧١ احدى وسبعين وتسعمائة .

و (تفسير نورالدين زاده) هو الشيخ مصلح الدين المتوفي سنة ٩٨١ احدى وثمانين وتسعمائة وهو الى سورة الانعام .

و (تفسير الهندي) هو الشيخ فيض الله المتخلص بفيضي المتوفي في حدود سنة ١٠٠٠ الف فسره بالحروف المهملة وتكلف فيه غاية التكلف .

و (الدرالمنثور في التفسير بالمأثور) طبع في ست مجلدات للشيخ جلال الدين عبدالرحمن ابن ابي بكر السيوطي المتوفي سنة ٩١١ احدى عشرة وتسعمائة اوله : الحمدلله الذي احيا بمن شاء مآثر الآثار بعد الدثور الخ ذكر انه لما الف ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وتمّ في مجلدات رأى قصور اكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الاحاديث فلخص منه هذا التأليف ، مقتصراً فيه على متن الأثر ، مُصَدِّراً بالعَزْوِ والتخريج الى الكتب التي نقل منها تلك الآثار ، وهو متداول . وله التحبير في علوم التفسير أيضاً .

و (جامع الانوار في التفسير) للشيخ تاج الدين ابراهيم بن حمزة الأدرنوى المتوفي في حدود سنة ٩٧٠ سبعين وتسعمائة .

و (فتح الرحمن في تفسير القرآن) لشيخ الاسلام زكريا بن محمد الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦ ست وعشرين وتسعمائة اوله : الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بكتابه العظيم الخ ، وهو مختصر في ذكر الآيات المتشابهات المختلفة وغير المختلفة وفيه انموذج من اسئلة القرآن واجوبتها مأخوذة من كتاب الرازي وله فيه بعض الحاقات .

و (الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز) للشيخ الامام ابى الجسن محمد بن عبدالرحمن البكري الصديقي الشافعي المتوفي في سنة ٩٥٠ نيف وخمسين وتسعمائة[1] اوله : الحمد لله الذي انزل كتابه الخ وكان سنه حين الفراغ منه ثمانية وعشرين سنة كما قال والده في آخره .

و (السراج المنير في معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير) لشمس الدين محمد بن احمد الخطيب الشربيني الشافعي المصري المتوفي سنة ٩٧٧ سبع وسبعين وتسعمائة .

(وفي المائة الحادية عشرة) :

عرف (تفسير على القاري) وهو نور الدين علي بن سلطان القاري الهروي نزيل مكة المتوفي سنة ١٠١٠ عشرة والف .

و (ضياء السبيل الى معاني التنزيل) للشيخ محمد بن علي بن محمد بن علان الصديقي البكري المتوفي سنة ١٠٥٧ سبع وخمسين وألف .

و (تفسير العيشي) هو المولى محمد البترهوي المتوفي سنة ١٠١٦ ست عشرة والف .

و (جامع الاسرار) في التفسير للشيخ عبدالمحسن بن سليمان الكوراني المدرس بروضة الرسول ، صنفه تفسيراً جامعاً للظهر والبطن اجابة لسؤال بعض اخوانه فكتب الى سورة الاعراف واهداه الى السلطان مراد الرابع العثماني المتوفي سنة ١٠٤٩ تسع واربعين والف

---

(١) هكذا العبارة بخط المؤلف رحمه الله وهي كما ترى [مصححة] .

و (تفسير شيخ الاسلام) خير الدين بن احمد بن نور الدين علي بن زين الدين الرملي المتوفي سنة ١٠٨١ احدى وثمانين والف .

و (تفسير شهاب الدين) ابى الثناء محمود الخفاجي المتوفي يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٠٦٩ تسع وستين والف .

و (تفسير الشيخ حسن البوريني والشيخ بهاء الدين العاملي) المسمى بعين الحياة المتوفي سنة ١٠٣١ احدى وثلاثين والف .

و (التفسير الأحمدي) للشيخ أحمد المدعو بملا جِيَوْن الصديقي اللكنوى وذلك سنة ١٠٦٩ تسع وستين وألف وهو مؤلف نور الأنوار فى اصول الفقه وكانت ولادته سنة ١٠٤٧ سبع واربعين والف ووفاته سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة والف ، و (جِيَوْن) باللغة الهندية الحياة ، وكان له قوة حافظة يحفظ القصيدة الطويلة بسماعها دفعة واحدة .

(وفي المائة الثانية عشرة) :

عرف (الشيخ العارف عبد الغني النابلسي) صاحب التحرير الحاوي في شرح تفسير البيضاوي ـ والسيد هاشم البحراني صاحب البرهان في تفسير القرآن.

و (روح البيان) في تفسير القرآن لأبي الفداء إسماعيل حقي المتوفي سنة ١١٢٧ سبع وعشرين ومائة والف وقد فرغ من تحرير هذا التفسير سنة ١١١٧ سبع عشرة ومائة والف أوله : الحمد لله الذي أظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكونية نقوش العوالم والأعلام ،وفيه تعبيرات كثيرة باللغة الفارسية وإفادات على حسب أذواق الصوفية .

و (تفسير الشيخ غلام نقشبند)ابن الشيخ عطاءالله الهندي المتوفي في سلخ رجب سنة ١١٢٦ ست وعشرين ومائة وألف وهو لربع القرآن لم يكمل ، وللشيخ المذكور أيضاً تفسير لبعض السور القرآنية .

و (فتح العزيز في التفسير) للشيخ عبد العزيز الفاروقي الدهلوي صاحب التحفة الاثنى عشرية في الرد على الامامية الاثنى عشرية وهو من علماء القرن الثاني عشر .

(وفي المائة الثالثة عشرة) :

عرف وظهر تفسير أوحد المحدثين في زمانه ،وعمدة المفسرين في عصره وأوانه ،محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني ضحوة في اليوم الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٢٩ تسع وعشرين بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية وسمى .. (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) وما ذكر هو تاريخ الفراغ من التفسير ، وأما تاريخ الشروع فيه فهو سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين بعد المائتين والالف وقد توفي سنة ١٢٥٠ خمسين ومائتين بعد الألف .

و (فتح البيان في تفسير القرآن) سنة ١٢٨٩ تسع وثمانين ومائتين بعد الألف للعلامة أبي الطيب محمد صديق حسن خان البخاري القِنَّوجي الحسيني الذي أخذ الاجازة عن الشيخ المعمر عبد الحق الهندي تلميذ الامام الرباني القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني المذكور وكانت ولادة المؤلف سنة ١٢٤٨ ثمان وأربعين ومائتين بعد الألف ووفاته سنة ١٣٠٧ سبع وثلاثمائة والف .

و (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لخاتمة العلماء الفضلاء ولباب الألباء البلغاء أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧٠ سبعين ومائتين والف وهو من أحسن التفاسير جمعاً واتقاناً وقال فيه بعض الفضلاء :

إن كان محمود جار الله قد جمعت ... له المعاني بتفسير وتبيان

فان محمودنا الحبر الشهاب له ... روح المعاني وكان الفخر للثاني

و (در الأسرار) للعلامة مفتي دمشق الشام السيد محمود الحمزاوي المولود سنة ١٢٣٦ ست وثلاثين ومائتين بعد الألف والمتوفي سنة ١٣٠٥ خمس وثلاثمائة بعد الألف وهو تفسير بالحرف المهمل فقط للجزء الأول فرغ مِنْ تأليفه سنة ١٢٧٤ أربع وسبعين ومائتين بعد الألف .

(وفي المائة الرابعة عشرة) :

عرف (تفسير القرآن الحكيم) للفاضل العلامة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ابن حسن خير الله المصري المتولد سنة ١٢٥٨ ثمان وخمسين ومائتين والف والمتوفي سنة ١٣٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين والف لثمان خلون من جمادى الأولى غير انه لم يكن كاملاً بل وصل في التفسير الى قوله تعالى : (وكان الله بكل شيء محيطا) من سورة النساء ، وقصد إتمامه تلميذه السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار حتى فسر أجزاء عديدة منه واخترمته المنية قبل بلوغ الأمنية (١) .

وعرف أيضاً في هذه المائة (تفسير الشيخ طنطاوي جوهري) المتولد سنة ١٢٨٧ سبع وثمانين ومائتين والف والمتوفي سنة ١٣٥٩ تسع وخمسين وثلثمائة بعد الألف ، وقد زرته وزارني في مصر عام ذهابي الى الحج سنة ١٣٥٥ خمس وخمسين وثلاثمائة والف فوجدته رجلاً فاضلاً صالحاً متواضعاً رحمه الله رحمة واسعة ، وله تآليف كثيرة وكانت عادته في التفسير انه يباشر التفسير اللفظي أولاً ثم يشرع متوسعاً في الفنون العصرية المتنوعة وكان مدرساً بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقاً .

وعرف بالتفسير في هذا العصر السيد إبراهيم فصيح الشهير بحيدري زاده البغدادي الذي صار عضواً من أعضاء مجلس المعارف في الاستانة صاحب التآليف الجيدة ، منها رسالة في تطبيق الهيئة الجديدة الآثار على بعض الآيات الشريفة وبعض الأخبار ، ومنها حاشيته على حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على المطول وقد طالعتها حين قراءتي للمطول سنة ١٣١٥ خمس عشرة وثلثمائة والف ، ومنها الرسالة المسماة (بالمجد التالد في مناقب

---

(١) هذا التفسير ليس بقلم الشيخ (محمد عبده) ولكن الشيخ (محمد رشيد رضا) كان يحضر دروس الشيخ محمد عبده في التفسير بالأزهر ثم يدونها وينشرها في مجلته (المنار) وكان الشيخ محمد عبده يطلع عليها قبل الطبع وينقح ما يراه بحاجة الى التنقيح وليس للشيخ محمد عبده منها كتابة الا ما عزى اليه صريحاً وهذه الدروس ابتدأها الشيخ عام ١٣١٧ هـ وانتهى الى قوله تعالى من سورة النساء (وكان الله بكل شيء محيطا) في منتصف المحرم عام ١٣٢٣ هـ وتوفي رحمه الله لثمان خلون من جمادى الاولى [وله بقلمه تفسير سورة (العصر) وتفسير جزء (عم) وبعض آيات مشكلة في القرآن الكريم] ثم تابع الشيخ رشيد الكتابة الى اواخر سورة يوسف ثم ادركه الاجل في عام ١٣٥٤ هـ رحمهما الله رحمة واسعة [كتبه مصححه]

الشيخ خالد)، ومنها (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد) ومنها تفسيره للقرآن المجيد ورأيت جزءاً منه في سورة البقرة في التكية الخالدية وأظنه لم يكمل .

وعرف (التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل) المسمى مراح لبيد لكشف معنى قران مجيد للشيخ أبي عبد المعطى محمد بن عمر النووي الجاوي البنتني أقليماً التنـاوي بلداً وهو أحد علماء القرن الرابع عشر للهجرة النبوية سيد علماء الحجاز فرغ من تأليفه ليلة الأربعاء سـنة ١٣٠٥ خمس وثلاثمائة والف ، وله غير التفسـير تآليف عديدة ومصنفات سديدة رحمة الله عليه .

٢ — علم القراءة

هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ، ومباديه مقدمات تواترية ، وله أيضاً استمداد من العلوم العربية ، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ، وفائـدته صون كلام الله تعالى عن تطرق التحريف والتغيير ، وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير المتواترة ، الواصلة إلى حد الشهرة ، ومباديه مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم ذكره صاحب مفتاح السعادة قال الجعبري في شرح الشاطبية اعلم ان القراء اصطلحوا على أن يسموا القراءة باسم الامام ، والرواية للآخذ عنه مطلقاً ، والطريق للآخذ عن الراوي ، فيقال قراءة نافع رواية قالون طريق أبي نشيط ، ليعلم منشأ الخلاف فكما ان لكل إمام راوياً فلكل راوٍ طريق انتهى . وذكر ابن الجزري في نشره ان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهـا فيما أحسب خمساً وعشرين قراءة مع السبعة مات سـنة أربع وعشرين ومائتين انتهى .

وسلاّم بتشديد اللام كان عبداً رومياً وكان أبو عبيد ذا دين وسيرة حسنة توفي بمكة وقيل بالمدينـة وقد ألف الأئمة الأعلام والسادة الكرام في هذا الفن كتباً كثيرة وأسفاراً معتبرة شهيرة .

فمما ألف فيه كتاب القراءات السبع للإمام الحافظ أبي موسى بن العباس المعروف بابن مجاهد التميمي المقريء المتوفي سنة ٣٧٤ أربع وسبعين وثلثمائة وهو أول من اقتصر على قراءة السبعة قدم فيه نافعاً على غيره من السبعة ، وروى فيه عن الداجونى وابن جرير وقام الناس في زمانه وبعده فألفوا فيه كأبي بكر أحمد بن نصر السراي المتوفي سنة ٣٧٠ سبعين وثلاثمائة ، ثم صاحب الشامل والغاية ومؤلف المنتهى وغير ذلك شرحه أبو علي حسن بن أحمد الفارسى النحوي المتوفي سنة ٣٧٧ سبع وسبعين وثلثمائة وسماه الحجة ثم اختصره أبو محمد مكي ابن أبي طالب المقري سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين وأربعمائة وشرحه أيضاً أبو طاهر اسماعيل بن خلف الأندلسى المتوفي سنة ٤٥٥ خمس وخمسين وأربعمائة وشرحه أيضاً عثمان بن جنى تلميذ الفارسي وسماه المحتسب وقيل هذا غلط لأن ابن جني شرح القراءات الشاذة وسماه المحتسب .

ومنها كتاب القراءات لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥ خمس وثمانين وثلثمائة جمع الأصول في أبواب عقدها أول الكتاب، وصار القراء بعده يسلكون طريقته في التأليف ، ولأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفي سنة ٢٤٨ ثمان وأربعين ومائتين ولابى العباس احمد بن يحى بن ثعلب ولابن خالويه حسين بن عبدالله النحوي المتوفي سنة ٣٧٠ سبعين وثلثمائة. ومن كتب القراءات كتاب القراءات للفضل بن العباس الانصاري. ولابى عبيد القاسم بن سلام ولابى معاذ الفضل بن خالد النحوي. ولمحمد بن يحيي القطيعي . ولابى بكر محمد ابن الحسين الموصلي المعروف بالنقاش واول ما صنف من الكتب المعتبرة كتاب القراءات لابى عبيد القاسم بن سلاّم وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة ثم أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل انطاكية المتوفي سنة ٢٥٨ ثمانٍ وخمسين ومائتين جمع كتابا في القراءات الخمس من كل مصر واحد والقاضي اسماعيل بن اسحاق المالكي صاحب قالون المتوفى سنة ٢٨٢ اثنتين وثمانين ومائتين الف كتابا في القراءات جمع فيه قراءات عشرين اماما منهم السبعة

وابو جعفر محمد بن جرير الطبري جمع كتابا حافلاً سماه الجامع وفيه نيف وعشرون قراءة وتوفى سنة ٣١٠ عشرة وثلثمائة وصنف الأئمة المتقدمون في اعراب حروف القرآن وشاذه ومعانيه واسندوها حرفا حرفاً الى الصحابة والتابعين كعباس بن الفضل وابى سعدان وابى الربيع الزهراني ويحى بن آدم ونصر بن علي الجهضمي وابى هشام الرفاعي وابن مجاهد وغيرهم .

ومن الكتب المؤلفة في هذا الباب :

(الانوار الباهرات في القراءات) .

و (الإيجاز) في القراءات السبع لابي محمد عبدالله بن علي الشهير بسبط الخياط المتوفي سنة ٥٤١ احدى واربعين وخمسمائة .

و (الايماء الى مذاهب السبعة القراء) لابي محمد بن محمد بن عبدالله الاشبيلي المعروف بالقليعي المتوفي سنة ٥٥٣ ثلاث وخمسين وخمسمائة .

و (تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى) في القراءات للشيخ ابى محمد عبد الله بن علي ابن أحمد المعروف بسبط ابن الخياط المتوفي سنة ٥٤١ احدى وأربعين وخمسمائة .

و (التذكار) في القراءات العشرة للشيخ ابى الفتح عبدالوحد بن حسين بن شيطا البغدادي المتوفي سنة ٤٤٥ خمس واربعين واربعمائة ذكر فيه روايته وجمع نحو مائة طريق .

و (الاكتفاء في قراءة نافع وابى عمرو بن العلاء) للحافظ ابى عمر يوسف بن عبد البر القرطبى المتوفي سنة ٤٦٣ ثلاث وستين واربعمائة .

و (التيسير في القراءات السبع) للامام ابي عمرو عثمان بن سعيد الدانى المتوفي سنة ٤٤٤ أربع وأربعين واربعمائة .

و (الوجيز) في القراءات الثمانية لأبي علي الحسن بن علي بن ابراهيم الأهوازي نزيل دمشق المتوفي سنة ٤٤٦ ست وأربعين وأربعمائة .

و (الهداية) في القراءة لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي المتوفي سنة ٤٣٠ ثلاثين وأربعمائـــة .

و (توضيح المشكل) في القراءات لأبي عثمان سعيد بن محمد المعروف بابن الحداد القيرواني المتوفي شهيداً سنة ٤٠٠ أربعمائة .

و (نثر الدرر) في القراءة للشيخ الإمام علم الدين محمد بن عبد الصمد السخاوي المتوفي سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة .

و (المهذب) في القراءات العشر لأبي منصور الإمام الزاهد محمد بن أحمـــد بن علي الخياط البغدادي المتوفي سنة ٤٩٩ تسع وتسعين وأربعمائة .

و (لذات السمع في القراءات الســـبع) لأبي جعفر أحمد بن الحسن المالقي النحوي المتوفي سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة .

و (المبهرة في القراءات العشرة) للشيخ ابن أبي المكارم أحمد بن محمد بن دلة المتوفي سنة ٦٥٣ ثلاث وخمسين وستمائة .

و (كتاب الشواذ في القراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهـــد المقري المتوفي سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلثمائة .

و (الجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش) للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن فارس المعروف بالخياط البغدادي المتوفي سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمائة .

وصنف الشيخ نصر بن عبد العزيز بن أحمد الفارسي الشيرازي المتوفي سنة ٤٦١ إحدى وستين وأربعمائة جامعاً في العشر أيضاً وللشيخ كمال بن فارس جامع في السبعة .

٣ — علم ناسخ القرآن ومنسوخه

هو علم شريف يتعلق بالاحكام الشرعية لأنها محل النسخ إذ الأخبار لا تنسخ ولا بد للمفسر من معرفته إذ بدونه يقع الخلل في الاحكام ، قال الأئمة رحمهم الله تعالى لايجوز لأحد أن يفسر كلام الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ ، وقد قال علي كرم الله تعالى وجهه أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت . وألف فيه جماعة منهم مكي ابن أبي طالب القيسي المقري المتوفى سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين وأربعمائة وله في ذلك الايجاز والايضاح في ثلاثة أجزاء ، وأبو جعفر النحاس وأبو بكر محمد بن عبد الله بن عربي المتوفي سنة ٥٤٣ ثلاث وأربعين وخمسمائة وأبو داود السجستاني وأبو عبيدة قاسم بن سلام وأبو سعيد عبد القادر بن طاهر التميمي المتوفي سنة ٤٢٩ تسع وعشرين واربعمائة ، والشيخ جلال السيوطي المتوفي سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة ، والشيخ الإمام أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي المفسر المقري النحوي البغدادي المتوفي سنة ٤١٠ عشر وأربعمائة ، وأبو الحسين وابن المنادي .

٤ — علم أسباب النزول

الذي هو من فروع علم التفسير . وهو علم يبحث فيه عن سبب نزول آية أو سورة ووقتها ومكانها وغير ذلك ، ومباديه مقدمات مشهورة منقولة عن السلف ، والغرض منه ضبط تلك الأمور ، وفائدته معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم وتخصيص الحكم به عند من يرى العبرة بخصوص السبب وان اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه فاذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عداه ومن فوائده فهم معاني القرآن واستنباط الاحكام إذ ربما لايمكن معرفة تفسير الآية بدون الوقوف على سبب نزولها مثل قوله تعالى: (فأينما تولوا فثَمَّ وَجْهُ الله) وهو يقتضي عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الاجماع ولا

يعلم ذلك إلا بمعرفة أن نزولها كان في نافلة السفر أو فيمن صلى بالتحري الى القبلة وبان له الخطأ على اختلاف الرواية في ذلك ولا يحل القول فيه إلا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل كما قال الواحدي ويشترط في سبب النزول أن يكون نزولها أيام وقوع الحادثة وإلا كان ذلك من باب الأخبار عن الوقائع الماضية كقصة الفيل ، ومنه ما هو مكيّ أو مدنيّ حضريّ أو سفري نهاري أو ليلي فراشي أو نومي صيفي أو شتائي .

وأفرد سبب النزول بالتأليف جماعة من العلماء الأعلام ومن الكتب المؤلفة فيه :

(أسباب النزول) لشيخ المحدثين وشيخ الامام البخاري علي بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ أربع وثلاثين ومائتين وهو أول من صنف فيه .

و (أسباب النزول) في مائة جزء للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن فطيس المعروف بابن مطرف الأندلسي المتوفي سنة ٤٠٢ اثنتين وأربعمائة ، وترجمته بالفارسية لأبي النصر سيف الدين أحمد بن الاسبرتكيني .

و (أسباب النزول) لمحمد بن أسعد العراقي المتوفي سنة ٥٦٧ سبع وستين وخمسمائة .

و (أسباب النزول) للشيخ الامام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المفسر المتوفى سنة ٤٦٨ ثمان وستين وأربعمائة وهو أشهر ماصنف فيه على ما فيه من أعواز وقد اختصره الامام برهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبري المتوفي سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً .

و (أسباب النزول) للشيخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة مات عنها مسودة ولم تبيّض .

و (أسباب النزول) للشيخ الامام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي القرشي التيمي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ المتوفي سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب .

و (أسباب النزول) للإمام السيوطي المتوفي سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة سماه (لباب النقول في أسباب النزول) وذكر في إتقانه أنه في أسباب النزول ومدحه بكونه كتاباً حافلاً لم يؤلف مثله أوله الحمد لله الذي جعل لكل شيء سبباً الخ قال الامام [1] السخاوي وهو مما اختلسه من تصانيف شيخنا ابن حجر.

٥ — علم إعراب القرآن

وفائدة هذا العلم لا تخفى إذ به يعرف المعنى لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر بن الخطاب قال تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون القرآن. وأخرج عن يحي بن عتيق قال قلت للحسن يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته قال الحسن يا ابن أخي فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو في مباديء الكلام أو في جواب إلى غير ذلك، قال صاحب كشف الظنون وهو من فروع علم التفسير على مافي مفتاح السعادة لكنه في الحقيقة هو من علم النحو وعده علماً مستقلاً ليس كما ينبغي وكذا سائر ما ذكره (السيوطي) في الاتقان من الأنواع فإنه عدّ علوماً كما سبق في المقدمة ثم ذكر ما يجب على المعرب مراعاته من الأمور التي ينبغي أن تجعل مقدمة لكتاب إعراب القرآن ولكنه أراد تكثير العلوم والفوائد وهذا النوع أفرده بالتصنيف جماعة منهم الشيخ الإمام مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسى النحوي المتوفي سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين وأربعمائة أوله (أما بعد حمد الله جل ذكره. الخ. وكتابه في المشكل خاصة. وأبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي النحوي المتوفي سنة ٥٦٢ اثنتين

(١) نسبة الى سخا في مصر.

وستين وخمسمائة وكتابه أوضحها وهو في عشر مجلدات . وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي المتوفي سنة ٦١٦ ست عشرة وستمائة وكتابه أشهرها وسماه (البيان) أوله (الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه) وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسي المتوفي سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة وكتابه أحسن منه وهو في مجلدات سمّاه (المجيد في إعراب القرآن المجيد) أوله (الحمد لله الذي شرفنا بحفظ كتابه . الخ) ذكر فيه البحر لشيخه أبي حيان ومدحه ثم قال : لكنه سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والاعراب فتفرق فيه المقصود فاستخار في تلخيصه وجمع ما بقى في كتاب أبي البقاء من أعرابه لكونه كتاباً قد عكف الناس عليه فضمه اليه بعلامة (الميم) واورد ما كان له (بقلت) ولما كان كتاباً كبير الحجم في مجلدات لخصه الشيخ محمد بن سليمان الصرفدي الشافعي المتوفي سنة ٧٩٢ اثنتين وتسعين وسبعمائة واعترش عليه في مواضع .

وأما كتاب الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفي سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة فهو مع اشتماله على غيره أجل ما صنف فيه لأنه جمع العلوم الخمسة : الاعراب والتصريف واللغة والمعاني والبيان ولذلك قال السيوطي في الاتقان : هو مشتمل على حشو وتطويل لخصه السفاقسي فجوده (انتهى) وهو وهم منه لأن السفاقسي ما لخص إعرابه منه بل من البحر كما عرفت ، والسمين لخصه أيضاً من البحر في حياة شيخه أبي حيان وناقشه فيه كثيراً وسماه (الدر المصون في علم الكتاب المكنون) أوله (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) الخ . وفرغ منه أواسط رجب سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة .

(فائدة) اوردها تقي الدين في طبقاته وهي ان المولى الفاضل علي بن امرالله المعروف بابن الحنا القاضي بالشام حضر مرة درس الشيخ العلامة بدر الدين الغزي لما ختم في الجامع الأموي التفسير الذي صنفه وجرى فيه بينهما ابحاث منها اعتراضات السمين على شيخه

فقال الشيخ ان اكثرها غير وارد وقال المولى علي والذي في اعتقادي أن اكثرها وارد واصر على ذلك ثم ان المولى المذكور كشف عن ترجمة السمين فرأى ان الحافظ ابن حجر وافقه فيه حيث قال في الدرر صنف في حياة شيخه (الدر) و ناقشه فيه مناقشة كثيرة غالبها جيدة وكتب الى الشيخ ابياتاً يسأله ان يكتب ما عثر الشهاب عليه من ابحاثه فاستخرج عشرة منها ورجح فيها كلام ابي حيان وزيف اعتراضات السمين عليها وسماه بالدر الثمين في المناقشة بين ابي حيان والسمين وارسلها الى القاضي فلما وقف عليها انتصر للسمين ورجح كلامه على كلام ابن حيان واجاب عن اعتراضات الشيخ بدر الدين ، ورد كلامه في رسالة كبيرة وقف عليها علماء الشام ورجحوا كتابته على كتابة البدر واقروا له بالفضل والتقدم .

وممن صنف في اعراب القرآن من القدماء الامام ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ ثمان واربعين ومائتين ، وابو مروان عبدالملك بن حبيب بن سليمان المالكي القرطبي المتوفى سنة ٢٢٩ تسع وثلاثين ومائتين ، وابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفي سنة ٢٨٦ ست وثمانين ومائتين ، وابو العباس أحمد بن يحيي الشهير بثعلب النحوي المتوفى سنة ٢٩١ احدى وتسعين ومائتين ، وابو جعفر محمد بن احمد بن النحاس النحوي المتوفى سنة ٣٣٨ ثمان وثلاثين وثلثمائة وابو طاهر اسماعيل بن خلف الصقلي النحوي المتوفى سنة ٤٥٥ خمس وخمسين واربعمائة وكتابه في تسع مجلدات . والشيخ ابو زكريا يحيي بن علي بن محمد الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ اثنتين وخمسمائة في اربع مجلدات . والشيخ ابو البركات عبدالرحمن بن ابي سعيد محمد الانباري النحوي المتوفي سنة ٣٢٨ ثمان وعشرين وثلثمائة وسماه البيان اوله (الحمد لله منزل الذكر الحكيم . الخ .) والامام الحافظ قوام السنة ابو القاسم اسماعيل بن محمد الطلحي الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥ خمس وثلاثين وخمسمائة ، ومنتخب الدين حسين بن ابي العز بن الرشيد الهمداني المتوفى سنة ٦٤٣ ثلاث واربعين وستمائة وكتابه تصنيف متوسط لا بأس به اوله

(الحمد لله بنعمته حُمدَ ، وبهدايته عُبد ، وبخذلانه جحد، الخ) وسماه بكتاب (الفريد في اعراب القرآن المجيد) ، وابو عبدالله حسين بن أحمد المعروف بابن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠ سبعين وثلثمائة وكتابه في اعراب ثلاثين سورة من الطارق الى آخر القرآن والفاتحة بشرح اصول كل حرف وتلخيص فروعه ، والشيخ موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي الشافعي المتوفى ٦٢٩ تسع وعشرين وستمائة وكتابه في اعراب الفاتحة . والشيخ اسحاق بن محمود بن حمزة تلميذ ابن الملك جمع اعراب الجزء الأخير من القرآن وسماه (التنبيه) واوله اول البيان المذكور آنفاً ، والمولى أحمد بن محمد الشهير (بنشانجي زاده) المتوفى سنة ٩٨٦ ست وثمانين وتسعمائة ، كتب الى الاعراف .

ومن الكتب المصنفة في اعراب القرآن (تحفة الاقران فيما قرىء بالتثليث من القرآن)

٦ — علم بدائع القرآن

افرده بالتصنيف ابن ابي الاصبع زكى الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالواحد القيرواني ثم المصري المتوفى سنة ٦٥٤ اربع وخمسين وستمائة فأورد فيه نحو مائة نوع وهي المجاز والاستعارة والكناية والأرداف والتمثيل والتشبيه والايجاز والاتساع والاشارة والمساواة والبسط والايغال والتشريع والتتميم والإيضاح ونفى الشيء بايجابه والتكميل والإحتراس والإستقصاء والتذييل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والمذهب الكلامي والقول بالموجب والمناقضة والانتقال والاسجال والتسليم والتمكين والتوشيح والتسهيم ورد العجز على الصدر وتشابه الأطراف ولزوم ما لا يلزم والتخيير والإيهام وهو التورية والإستخدام والالتفات والإستطراد والإطراد والإنسجام والإدماج والإفتنان والاقتدار وائتلاف اللفظ مع اللفظ وأئتلاف اللفظ مع المعنى والإستدراك والإستثناء والاقتصاص والإبدال وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتفويف والتغاير والتقسيم والتدبيج والتنكيت والتجريد والتعديد والترتيب والترقي والتدلي والتضمين والجناس والجمع والتفريق والجمع

والتقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم وجمع المؤتلف والمختلف وحسن النسق وعتاب المرء نفسه والعكس والعنوان والفرائد والقسم واللف والنشر والمشاكلة والمزاوجة والموازنة والمراجعة والنزاهة والابداع والمقارنة وحسن الابتداء وحسن الختـام وحسن التخلص والإستطراد .

فهذا العلم قد ذكره جلال الدين السيوطي في الإتقان وذكره ايضاً المولى ابوالخير من جملة فروع علم التفسير ولا يخفى انه هو علم البديع إلا أنه قد وقع في الكلام القديم .

٧ — علم الآيات المتشابهات

كابراز القصة الواحدة فيصور شتّى، وفواصل مختلفة ، بان يأتي في موضع مقدما وفي موضع آخر مؤخراً، وفي موضع بزيادة وفي موضع بدونها ، او مفرداً ومنكراً وجمعا او بحرف وبحرف آخر اخرى او مدغماً ومنوناً الى غير ذلك من الاختلافات وهو من فروع علم التفسير واول من صنف فيه الكسائي ونظمه السخاوي والبرهـان في توجيه متشابه القرآن (١)

ومن الكتب المصنفة فيه (متشابه القرآن) للشيخ الامام شمس الدين محمد بن عبدالمؤمن المصري الشافعي الشهير بابن اللبان المتوفي سنة ٧٤٩ تسع واربعين وسبعمائة وهو مختصر اوله (اما بعد حمد الله الواحد بذاته . الخ) ، ولرشيد الدين ابي جعفر محمد بن علي المازندراني المتوفي سنه ٥٨٨ ثمان وثمانين وخمسمائة . (والبرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) للشيخ برهان الدين ابي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المقري الشافعي المعروف بتاج القراء المتوفي بعد سنة ٥٠٠ خمسمائة اوله (الحمد لله الذي أنزل الفرقان الخ) وهو مختصر ذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت فيه وسببها وفائدتها وحكمتها .

---

(١) كذا بخط المؤلف رحمه الله ولعل الصواب (في البرهان) الخ .

(ودرة التأويل في متشابه التنزيل) للامام حسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصبهاني اوّله : (اعلموا ان جملة الكتاب الكريم . الخ .) ذكر انه صنفه بعد ما عمل كتاب المعاني الاكبر واملى كتاب احتجاج القراء .

(وغرة التأويل ودرة التنزيل) في الآيات المتشابهات للامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة ، مجلدا اوّله (الحمد لله حمد الشاكرين . الخ .) تكلم فيه على الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة التي يقصد الملحدون الطرق منها الى عيبها واجاب عنها وهو احسن من البرهان .

و (ملاك التأويل في فنون التفسير) للشيخ الامام ابى جعفر أحمد بن ابراهيم .

و (الرد على الملحدين في متشابه القرآن) لابى علي بن محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي المتوفى سنة ٥٩٤ اربع وتسعين وخمسمائة ، ابن الزبير الغرناطي لخص فيه كتاب الحصكفي وزاد عليه .

و (قطف الأزهار في كشف الأسرار) لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ احدى عشرة وتسعمائة يعنى اسرار التنزيل كتب الى آخر سورة براءة في جلد ضخم .

و (التبيان في متشابه القرآن) مختصر على ترتيب السور اوّله (الحمد لله الذي جعل الحمد لكتابه . الخ .) وذكر كل آية شابه بعضها بعضاً وعين سورته .

و (رد المتشابه الى المحكم) من الآيات القرآنية للشيخ محمد بن أحمد بن اللبان الاشعري المصري المتوفى سنة ٧٤٩ تسع واربعين وسبعمائة ، اوّله (اما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته . الخ .) ذكر فيه متشابهات القرآن .

٨ — علم اقسام القرآن

جمع قسم بمعنى اليمين جعله السيوطي نوعا من انواع علوم القرآن وتبعه صاحب مفتاح السعادة حيث اورده من فروع علم التفسير . صنف فيه شمس الدين محمد بن ابي بكر المعروف

بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ احدى وخمسين وسبعمائة مصنفا وسماه (التبيان في اقسام القرآن) وهو مجلد جمع فيه ما ورد بمعنى القسم والايمان اوله (الحمد لله رب العالمين). اقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي كله قسم بمخلوقاته واجابوا عنه بوجوه. اما المواضع السبعة فقوله تعالى: فورب السماء والارض انه لحق. وقوله اي وربي وقوله: قل بلى وربي لتبعثن وقوله: فوربك لنحشرنهم والشياطين. وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين. وقوله فلا وربك لا يؤمنون وقوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب.

والباقي كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى: (والتين والزيتون) (والصافات) (والشمس) (والليل) (والضحى).

واما الجواب عن القسم بغير الله المنهى عنه شرعا فقد اجيب عنه باوجه (احدها) انه على حذف مضاف اي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي.

(الثاني) ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

(الثالث) ان الاقسام انما تكون بما يعظمه المقسم او يجله وهو فوقه والله تعالى ليس فوقه شيء فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على باريء وصانع. وقال ابن ابي الاصبع في اسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل. والله أعلم

٩ — علم امثال القرآن

افرده بالتصنيف جماعة منهم الشيخ ابو عبدالرحمن محمد بن حسين السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ ست واربعمائة، والامام الشيخ شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥٤ اربع وخمسين وسبعمائة اوله (الحمد لله نحمده ونستعينه) الخ. والإمام ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ خمسين واربعمائة

قال تعالى : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون .) وقال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون .) واخرج البيهقي عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان القرآن نزل على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال) . قال الماوردي من اعظم علم القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام وقال غيره قد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه . وقال الشيخ عزالدين: انما ضرب الله الامثال في القرآن تذكيراً ووعظاً فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب او على احباط عمل او على مدح او ذم او نحوه فانه يدل على الاحكام ، وقال غيره ضرب الامثال في القرآن يستفاد منه امور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعاني بصورة الاشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ، وتأتي امثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الاجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الامر او تحقيره وعلى تحقيق امر او ابطاله قال تعالى : (وضربنا لكم الأمثال) فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد . قال الزركشي في البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة .

١٠ — علم إعجاز القرآن

ذكره المولى ابو الخير من جملة فروع علم التفسير وقال صنف فيه جماعة فذكر منهم الخطابي والرّماني والرازي والزملكاني وابن سراقة والقاضي ابا بكر الباقلاني . قال ابن العربي ولم يصنف مثل كتابه وابن أبي الاصبع والروياني .

ومن الكتب المصنفة فيه (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ ست وثلثمائة ، وشرحه الشيخ عبد القاهر بن عبد الله الجرجاني المتوفي سنة ٤٧٤ أربع وسبعين وأربعمائة شرحين كبيراً وسماه (المعتضد) وصغيراً ..

و (البرهان في إعجاز القرآن) لكمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني الشافعي المذكور المتوفي سنة ٧٢٧ سبع وعشرين وسبعمائة ، ولابن أبي الاصبع البرهان أيضاً فيه . و (التنبيه على إعجاز القرآن) لزين المشايخ محمد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي الحنفي المتوفي سنة ٥٦٢ اثنتين وستين وخمسمائة . و (إيجاز البرهان في إعجاز القرآن) لأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن محمد الانصاري الخزرجي وكان خطه دقيقاً فكثر فيه الخلط .

١١ — علم أحكام القرآن

قال العلامة السيوطي في الاتقان : قد أفرد الناس كتباً فيما تضمنه القرآن من الأحكام كالقاضي اسماعيل ، وأبي بكر بن العلاء وأبي بكر الرازي والكيا الهراسي وأبي بكر بن العربي وعبد المنعم بن الفرس وابن خويز منداد ، وذكر الغزالي وغيره أن آيات الأحكام خمسمائة آية وقال بعضهم مائة وخمسون ، قيل ولعل مرادهم المصرح به فان آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الاحكام . قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام في كتاب الامام في أدلة الأحكام معظم آيات القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة ، ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام ، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط أما بلا ضم إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى : (وامرأته حمالة الحطب) وصحة صوم الجنب من قوله : (فالآن باشروهن) إلى قوله : (حتى يتبين لكم الخيط) الآية .

وأما به كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله : (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) مع قوله (وفصاله في عامين) وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً

وقال انه مخلوق وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق ، ولما جمع بينهما غاير فقال : (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) اهـ .

وقد عرف أحكام القرآن على ما في كشف الظنون للامام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي المتوفي بمصر سنة ٢٠٤ أربع ومائتين وهو أول من صنف فيه ، والشيخ أبي الحسن علي ابن حجر السعدي المتوفي سنة ٢٤٤ أربع وأربعين ومائتين ، وللقاضي الامام أبي إسحاق اسماعيل بن اسحاق الأزدي البصري المتوفي سنة ٢٨٢ اثنتين وثمانين ومائتين ، وللشيخ أبي الحسن علي بن موسى بن يزداد القمي الحنفي المتوفي سنة ٣٠٥ خمس وثلثمائة ، وللشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي المتوفي سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلثمائة، وللشيخ أبي محمد القاسم بن أصبغ القرطبي النحوي المتوفي سنة ٣٤٠ أربعين وثلثمائة ، وللشيخ الإمام أبي بكر أحمد بن محمد المعروف بالجصاص الرازي الحنفي المتوفي سنة ٣٧٠ سبعين وثلاثمائة ، وللشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي الشافعي البغدادي المتوفي سنة ٥٠٤ أربع وخمسمائة ، وللقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الحافظ المالكي المتوفي سنة ٥٤٣ ثلاث وأربعين وخمسمائة اوله : (ذكر الله مقدم على كل أمر ذي بال . الخ) . وللشيخ عبد المنعم بن محمد بن فرس الغرناطي المتوفي سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة ، ومختصر احكام القرآن للشيخ مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين واربعمائة ، وتلخيص احكام القرآن للشيخ جمال الدين محمود بن أحمد المعروف بابن السراج القونوي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٠ سبعين وسبعمائة ، ولأبي بكر أحمد ابن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين واربعمائة لفقه من كلام الشافعي أوله: (الحمد لله رب العالمين) ، والقول الوجيز في احكام الكتاب العزيز لصاحب عمدة الحفاظ ابن السمين أحمد بن يوسف الحلبي المتوفى ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة ، وكنز الرحمن في احكام القرآن للامام العلامة علاء الدين علي بن محمد بن اقيرس القاهري الشافعي المتوفى سنة ٨٦٢ اثنتين وستين وثمانمائة وهو في نحو عشر مجلدات كبار .

١٢ — علم خواص القرآن

وهو علم باحث عن الخواص المترتبة على قراءة آيات الله واسمائه المعظمة ، ويترتب عليها خواص مناسبة لها ، قال ابن القيم في حديث الرقية بالفاتحة : «إذا ثبت لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين في بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب » . قال العلامة طاشكبرى صاحب مفتاح السعادة : «اعلم أن النفس بسبب اشتغالها باسماء الله سبحانه وتعالى والدعوات الواردة في الكتب المنزلة تتوجه إلى الجناب المقدس وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه فبواسطة ذلك التوسط والتخلي تفيض عليها آثار وانوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب الاشتغال» . اهـ .

وقد ذكروا أن خواص الأشياء ثابتة وأسبابها خفية فاننا نعلم أن (المغناطيس) يجذب الحديد ولا نعرف وجهه وسببه وكذلك جميع الخواص ، إلا أن علل بعضها معقولة وبعضها غير معقولة المعنى ، ثم أن تلك الخواص تنقسم إلى أقسام كثيرة منها خواص الأسماء المذكورة الداخلة تحت قواعد علم الحروف المركبة .

ويقال إن الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأحرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله سبحانه ، وتعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني ، ويشير إلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام : (لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال) . وأجاز القرطبي الرقية باسماء الله سبحانه وتعالى وكلامه قال : « فان كان مأثوراً استحب» . قال الربيع : «سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله » .

وقد أفرد خواص القرآن بالتأليف جماعة منهم الحكيم أبو عبد الله التميمي ذكر أنه أخذه من بعض الحكماء بالهند . ومنهم الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة

٥٠٥ خمس وخمسمائة ، ومنهم أبو بكر محمد بن المالقي المتوفى سنة ٧٥٠ خمسين وسبعمائة ، ومن المتأخرين الامام عبد الله بن أسعد نزيل مكة وقطب الحرم اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة ، ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سهيل الجوزي المعروف بابن الخشاب اليمني المتوفى سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة وهو مجلد أوله : (الحمد لله الذي طلع من آفاق كتابه العزيز) الخ . ذكر أنه جمع فيه بين كتاب البرق اللامع للواداياشي وبين كتاب الغزالي في خواص فواتح السور وآيات من القرآن وأورد في أوله فصولا في فضائل القرآن وتلاوته ودعاء الختم وفضل البسملة وآداب القراءة ثم بدأ يذكر خواص الفاتحة والبقرة إلى آخر القرآن الكريم ، ولهذه النسخة مختصر منسوب إلى اليافعي وهو مقدار نصف الاصل وهذا الاصل اسمه : الدر النظيم في خواص القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم .

١٣ — علم جدل القرآن

أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفي، قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع انواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لامرين : (احدهما) بسبب ما قاله : (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (والثاني) ان المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فان من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الاكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزا فاخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أبنائها ما يربي على ما ادركه فهم الخطباء وقال ابن أبي الاصبع : زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في

القرآن وهو مشحون به وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد أثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام .

وعن بعض العلماء : إياك بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الاكابر من العلماء ، فانه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة وهو من اشراط الساعة كذا ورد في الحديث ولله در القائل :

أرى فقهاء هـذا العصر طراً ... أضاعوا العلم واشتغلوا بلم لم

إذا ناظرتهم لم تلق منهم ... سوى حرفين لِمْ لِمُ لا نسلم

والانصاف في هذا ان الجدل لاظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) لا بأس به وربما ينتفع به في تشحيذ الاذهان ، والممنوع هو الجدل الذي يضيع الاوقات ولا يحصل منه طائل .

١٤ — علم مبهمات القرآن

وليعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه وكان من السلف من يعتني به كثيراً ، قال عكرمة : «طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم ادركه الموت اربع عشر سنة » .

و (للابهام) في القرآن أسباب (احدها) الاستغناء ببيانه في موضع آخر كقوله تعالى :(صراط الذين انعمت عليهم) . فانه مبين في قوله : (مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) .. (الثاني)ان يتعين لاشتهاره كقوله تعالى :(وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) ولم يقل حواء لانه ليس له غيرها .وقوله :(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) والمراد نمرود لشهرة ذلك لأنه المرسل اليه (الثالث) قصد الستر عليه ليكون ابلغ في استعطافه : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا). الآية . هو

الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن اسلامه . ومن الستر قوله تعالى : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) . والمراد زليخا . و (الرابع) أن لا يكون في تعيينه كبير فائدة نحو : (أوكالذي مر على قرية). و(اسألهم عن القرية). (الخامس) التنبيه على العموم وانه غير خاص بخلاف ما لو عين نحو :(ومن يخرج من بيته مهاجراً) . (السادس) تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو :(ولا يأتل اولوا الفضل) (والذي جاء بالصدق وصدق به) إذ يقول لصاحبه والمراد الصديق في الكل. (السابع) تحقيره بالوصف الناقص نحو (ان شانئك هو الأبتر) .

وقد أفرده بالتأليف جماعة من العلماء الاعلام فمنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الزهري المتوفى سنة ٦١٧ سبع عشرة وستمائة وسماه البيان فيما ابهم من القرآن ، ومنهم الامام ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن السهيلي الاندلسي المالكي النحوي الحافظ المتوفى سنة ٥٨١ احدى وثمانين وخمسمائة وسماه التعريف والاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والاعلام ، وهو مختصر أوله (الحمد لله الذي علم آدم الاسماء) . الخ . قصد فيه ذكر من لم يسم في القرآن مما له اسم علم قد علم عند أئمة الأخبار . الخ . وعليه استدراك لمحمد بن علي بن محمد البلنسي الغرناطي المتوفى سنة ٦٣٦ ست وثلاثين وستمائة ، وذيل عليه تلميذ من تلامذته وهو محمد بن علي بن خضر الغساني المعروف بابن عساكر بكتابه المسمى بالتكميل والاتمام . وجمع بينهما شيخ الاسلام القاضي بدر الدين بن جماعة في كتاب سماه (التبيان) . وللامام جلال الدين السيوطي فيه تأليف مختصر سمّاه (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) . أوله (الحمد لله على ما منح من الالهام) . الخ . جمع فيه فوائد الكتب المذكورة مع زوائد اخرى ، وقد ذكر ملخص مهمّاته في كتابه الاتقان في علوم القرآن ، وللشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الحافظ المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة كتاب الاحكام لبيان ما في القرآن من الأبهام .

١٥ — علم مشكل القرآن

وموهم الاختلاف والتناقض فيه والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)، ولكن قد يقع للمبتدىء ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة فاحتيج لازالته، كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة. عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: رأيت اشياء تختلف عليّ من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو أشك؟ قال: ليس بشك ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال اسمع الله تعالى يقول: ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين. وقال: ولا يكتمون الله حديثا، فقد كتموا. واسمعه يقول: فلا انساب بينهم يؤمئذ ولا يتساءلون. ثم قال: واقبل بعضهم على بعض يتساءلون. وحاصل ما اجاب به ابن عباس عن الاولى ان نفى المسألة فيما قبل النفخة الثانية واثباتها فيما بعد ذلك وعن الثانية انهم يكتمون بالسنتهم فتنطق ايديهم وجوارحهم». وقد أفرده بالتصنيف أبو محمد مكي ابن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ سبع وثلاثين واربعمائة، والشيخ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أوله (الحمد لله الذي نهج لنا سبيل الرشاد) الخ. وأبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي البصري مولى مسالم بن زياد المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ ست ومائتين.

١٦ — علم مفردات القرآن

ذكره الامام السيوطي في الاتقان بناء على انه من فروع علم التفسير. أخرج السلفي في المختار من الطبريات عن الشعبي قال: «لقي عمر بن الخطاب ركباً في سفرهم فيهم ابن مسعود فأمر رجلا يناديهم من أين القوم؟ قالوا أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم لعالما، وأمر رجلا أن يناديهم: اي القرآن اعظم؟ فاجابه عبد الله (الله لا آله إلا هو

الحي القيوم)، قال : نادهم اي القرآن احكم؟ فقال ابن مسعود :(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى) قال نادهم : اي القرآن اجمع ؟قال :(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فقال نادهم :اي القرآن احزن؟ فقال : (من يعمل سوء يجزيه) فقال نادهم : اي القرآن ارجى فقال : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .الآية) فقال: افيكم عبدالله بن مسعود ؟قالوا: نعم»أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه . اه .

وللمفضل بن محمد أبي القاسم الراغب الاصبهاني صاحب المصنفات المتوفى في أوائل المائة الخامسة كتاب مفردات القرآن ، وكذا لابن السمين الحلبي المتوفى سنة ٥٩٦ ست وتسعين وخمسمائة وهو احسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن .

١٧ — علم آداب تلاوة القرآن

أفرده جماعـــة بالتصنيف منهم الامام محيي الدين يحيي بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ ست وسبعين وستمائة في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن وهو مختصر أوله (الحمد لله الكريم المنان) الخ ، مرتب على عشرة أبواب (الأول) في فضيلة تلاوته وحمله . (الثاني) في ترجيح القراءات والقاري . (الثالث) في إكرام أهل القرآن . (الرابع) في آداب المعلم والمتعلم . (الخامس) في آداب حامل القرآن . (السادس) في آداب القراءة . (السابع) في آداب الناس معه . (الثامن) في الآيات والسور المستحبة في بعض الاوقات . (التاسع) في كتابة القرآن وإكرام المصحف . (العاشر) في ضبط الفاظ الكتاب، وفي ضمن الأبواب جمل من الفوائد ثم اختصره وسماه (مختار التبيان) .

وللشيخ محمد بن محمد أبي سعيد الايجي ترجمة هـــذا الكتاب بالفارسية سمّاها : (حـــديقة البيان) ، ومنهم ابن قتيبة عبد الله بن مسلم النحوي المتوفى سنة ٢٦٧ سبع وستين ومائتين .

وقد اكثر الامام السيوطي في اتقانه من ذكر مستحبات التلاوة فقال : يستحب الاكثار من تلاوة القرآن قال تعالى مثنياً على من كان ذلك دأبه :(يتلون آيات الله آناء الليل) . ويستحب الوضوء لقراءة القرآن لانه أفضل الأذكار ، وتسن القراءة في محل نظيف وأفضله المسجد . ويستحب ان يجلس مستقبل القبلة متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه ، ويسن التعوذ قبل القراءة ويسن الترتيل في قراءة القرآن . وتسن القراءة بالتدبر والتفهم ،ولا بأس بترديد الآية وتكريرها . ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها . ويستحب قراءته بالتفخيم ومعناه انه يقرأ على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضورها . ويسن الدعاء عقب الختم، ويسن إذا فرغ من الختمة ان يشرع في أخرى عقب الختم ، ويكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها ، ويكره قطع القراءة لمكالمة أحد لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره .

١٨ — علم غريب القرآن

أفرده بالتصنيف جماعة لايحصون منهم أبو عبيدة وأبو عمر والزاهد وابن دريد ومن أشهرها كتاب العزيزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر ابن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب ، ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين سماه إتحاف الأديب بما ورد في القرآن من الغريب. قال ابن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الانباري وينبغي الاعتناء به ، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً:(أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الأعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن ،لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها ، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض

بالظن فهذه الصحابة هم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً . ومعرفة هذا الفن للمفسر ضرورية ولذا قال في البرهان: يحتاج الكاشف عن ذلك معرفة علم اللغة اسماءً وأفعالاً وحروفاً فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الاسماء والافعال فتوخذ من كتب علم اللغة وأكبرها كتاب ابن السيد ومنها التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده والجامع للقزاز والصحاح للجوهري والبارع للفارابي ومجمع البحرين للصاغاني، ومن الموضوعات في الافعال كتاب ابن القرطية وابن الظريف والسرقسطي ومن أجمعها كتاب ابن القطاع ، وأول ما يرجع اليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فانه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة . انتهى . وفي كشف الظنون : أفرد التأليف فيه جماعة غير ما ذكره ابن الأثير منهم أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفي سنة ٢٢١ إحدى وعشرين ومائتين رالقبتي والنضر بن شميل البصري المتوفي سنة ٢٠٣ ثلاث ومائتين وأبوفيد مؤرج بن عمرو النحوي السدوسي المتوفي سنة ١٧٤ أربع وسبعين ومائة ، وإبان بن ثعلب بن رباح بن سعيد البكري المتوفي سنة ١٤١ إحدى وأربعين ومائة ، وأبو بكر أحمد بن كامل المتوفي سنة ٣٥٠ خمسين وثلثمائة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الحريري الكوفي المتوفي سنة ٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين ، وأبو يكر محمد بن الحسين المعروف بابن دريد الكوفي المتوفي سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلاثمائة ولم يكمله ، وأبو عبد الله محمد بن يوسف الكفرطابي المتوفي سنة ٥٠٣ ثلاث وخمسمائة ، وعلاء الدين علي بن عثمان التركماني المتوفي سنة ٧٥٠ خمسين وسبعمائة سماه (بهجة الأديب لما في الكتاب العزيز من الغريب) ، ومحمد بن عزيز السجستاني بزائين معجمتين المتوفي سنة ٣٣٠ ثلاثين وثلاثمائة ، وأبو محمد عبد الرحمن بن عبد المنعم الخزرجي المتوفي سنة ٥٦٤ أربع وستين وخمسمائة وقد أغفل فيه كثيراً ، ونظم زين الدين عبد الرحيم

ابن الحسين العراقي المتوفي سنة ٨٠٦ ست وثمانمائة ، وأبو عمرو الزاهد الإمام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب مختار الصحاح أوله (الحمد لله بجميع محامده . الخ) ذكر فيه ان طلبة العلم وحملة القرآن سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن فأجاب ورتب ترتيب الجوهري ضم فيه شيئاً من الأعراب والمعاني وفرغ من تعليقه في سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة ، ولأبي الفرج بن الجوزي سماه (الأديب بما في القرآن من الغريب) .

١٩ — علم فواصل الآي

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال الداني كلمة آخر الجملة . قال الجعبري وهو خلاف المصطلح عليه ولا دليل له في تمثيل سيبويه بيوم يات وما كنا نبغ وليسا رأس آية لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية ، وقال القاضي أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني) وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رأس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ، قال ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكره سيبويه في تمثيل القوافي يوم يات وما كنا نبغ وليسا رأس آية باجماع مع إذا يسر وهو رأس آية باتفاق . وقد كثر في الفواصل التضمين والابطاء لأنهما ليسا بمعيبين في النثر وإن كانا معيبين في النظم فالتضمين إن يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها كقوله تعالى : (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) والابطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الاسراء : (هل كنت إلا بشراً رسولاً) وختم بذلك الآيتين بعدها .

وقد صنف في علم فواصل الآي جماعة ، فللعلامة الطوفي سليمان بن عبد القوي الحنبلي

المتوفي سنة ٧١٠ عشرة وسبعمائة كتاب فواصل الآي قال فيه : تتبعت الاحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على ما يزيد على أربعين حكماً ذكرها السيوطي في الاتقـان .

٢٠ — علم فواتح السور

أفرده بالتأليف جماعة من العلماء ، فمنهم الامام الغزالي أبو حامد محمد بن محمد المتوفي سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة ، ومنهم تاج الدين بن الدويهـم علي بن محمد الموصلي الشافعي المتوفي سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسـبعمائة وسماه (كنز الدرر في حروف أوائل السـور) . ومنهم ابن أبي الاصبغ زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد القيرواني المصري المتوفي سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة وسمى تأليفـه (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح) أي فواتح السور ، وقد ذكر العلامة السيوطي في الاتقان ملخص ما ذكره وحصر ذلك بعشرة أشـياء فقال : اعلم ان الله افتتح سـور القرآن بعشر أنواع من الـكلام لا يخرج شيء من السور عنها . (الأول) الثناء عليه تعالى والثناء قسمان إثبات لصفات المدح ونفي وتنزيـه عن صفات النقص ، فالأول التحميد في خمس سور وتبارك في سورتين . والثاني التسبيح في سبع سور . (الثاني) حروف التهجي في تسع وعشرين سورة و (الثالث) النداء في عشر سور . (الرابع) الجمل الخبرية نحو يسـألونك عن الأنفال ، براءة من الله ، أتى أمر الله . (الخامس) القسم في خمس عشـرة سورة . (السادس) الشرط في سبع سـور : الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصـر . (السابع) الأمر في سبع سـور قل أوحي إقرأ : قل يا أيها الـكافرون . قل هو الله أحد . قل أعوذ في المعوذتين . (الثامن) الاستفهام في ست سـور . هل أتى . عم يتساءلون . هل أتاك . ألم نشرح . ألم تر . أرأيت . (التاسع) الدعاء في ثلاث . ويل للمطففـين . ويل لـكل همزة . تبّت .

(العاشر)التعليل في : لئيلاف قريش، هكذا جمع أبو شامة . قال وما ذكرناه في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر الا سبّح فانه يدخل في قسم الأمر وسبحان يحتمل الأمر والخبر ثم نظم ذلك في بيتين فقال :

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ... ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والأمر والشرط والتعليل والقسم ... الدعاء حروف التهجي ستفهم الخبرا

وقد ذكر العلامة السيوطي في الاتقان ان من جملة فروع علم التفسير خواتم السور وهي أيضاً مثل الفواتح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الاسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة .

٢١ — علم الوجوه و النظائر

وهو من فروع علم التفسير ومعنى ذلك إن الوجوه الألفاظ المشتركة التي تستعمل في معان متعددة كلفظ الأمة ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة .وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الالفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام والنظائر نوعاً آخر وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجهاً وأقل وأكثر ولا يوجد ذلك في كلام البشر . وصنف في معرفة الوجوه والنظائر جماعة من العلماء ، فمن القدماء مقاتل بن سليمان ومن المتأخرين ابن الجوزي ألف كتابين في ذلك أحدهما اسمه (الوجوه النواضر في الوجوه والنظائر) وثانيهما (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) ، وابن الدامغاني وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري وابن فارس ، وألف فيه أيضاً أبو بكر محمد بن الحسن النقاش ، وأبو علي البناء ، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن الراغوني ، والامام السيوطي وسماه (معترك الاقران في مشترك القرآن) ، والإمام النيسابوري .

٢٢ — علم غريب التفسير

ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتاباً في مجلدين سماه : العجائب والغرائب ، ضمنه أقوالاً لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها ، من ذلك قول من قال في (حمعسق) ان الحاء حرب علي ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدوة المهدي حكاه أبو مسلم ثم قال أردت بذلك أن يعلم ان فيمن يدعى العلم حمقى .

ومن ذلك قول من قال في (الم) معنى ألف ألف الله محمداً فبعثه نبياً ومعنى لامه الجاحدون وأنكروه ومعنى ميم ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو البرسام .

ومن ذلك قول في (ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب) انه قصص القرآن واستدل بقراءة أبي الجوزاء (ولكم في القصص) وهو بعيد بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة وذلك من وجوه إعجاز القرآن ، ومن ذلك ما ذكره ابن نورك في تفسيره في قوله (ولكن ليطمئن قلبي) إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً ، قال الكرماني : وهذا بعيد جداً . ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر) يعني إبراهيم (ناراً) أي نوراً وهو محمد (صلعم) ، (فاذا أنتم منه توقدون) تقتبسون الدين . ومن ذلك ما ذكره الامام جلال الدين السيوطي في التحبير فقال : ومن أعجب ما اشتهر في تفسير (مسلمون) من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي متزوجون وهو قول لا يعرف له أصل ولا يجوز الاقدام على تفسير كلام الله تعالى بمجرد ما يحدث في النفس أو يسمع ممن لا عمدة عليه . قال صاحب روح المعاني العلامة الآلوسي عليه الرحمة : ومن غريب التفسير ما أخرجه ابن مردويه

عن ابن عباس قال (مرج البحرين يلتقيان) عليّ وفاطمة رضي الله تعالى عنهما ، (بينهما برزخ لا يبغيان) النبي (صلعم) ، (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ، وأخرج عن إياس بن مالك نحوه لكن لم يذكر فيه البرزخ ، وذكر الطبرسي من الامامية في تفسيره مجمع البيان الأول بعينه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ، والذي أراه انّ هذا إن صحّ ليس من التفسير في شيء بل هو تأويل كتأويل المتصوّفة لكثير من الآيات ، وكل من عليّ وفاطمة رضى الله تعالى عنهما أعظم من البحر المحيط علماً وفضلاً وكذا كل من الحسنين رضي الله تعالى عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حد الحسبان .

ومن غريب التفسير تفسير (السجل) في قوله تعالى : (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) بالملك الذي اسمه السجل أو بكاتب النبي (صلعم) اسمه السجل . قال ابن جرير الطبري : وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال السجل في هذا الموضع الصحيفة لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا (صلعم) كاتب اسمه (السجل) ولا في الملائكة ملك اسمه ذلك .

ومن غريب التفسير ان الامام في قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم) جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم رعاية لحق عيسى عليه السلام وإظهاراً لشرف الحسن والحسين وان لا يفتضح أولاد الزنا مع أن جمع الأم المعروف أمهات وليس في خلق عيسى من غير أب غميزة في منصبه بل هو آية وشرف في حقه .

ومن غريب التفسير ما ذكره بعضهم في قوله تعالى (قال يا بشرى هذا غلام) من أن بشرى اسم صاحب للرجل الذي أدلى دلوه ناداه معلماً له انـــه أصاب غلاماً وهو قول ضعيف لأن العلم لا تحسن إضافته في لغة العرب ذكره السدي ، ولم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس وأنما معنى القراءة على هـذا النحو يرجع

الى القراءة الأخرى وهي قال يا بشراي هـذا غلام ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الاضافة وهو يريدها كما تقول العرب يانفس اصبري وياغلام أقبل بحذف حرف الاضافة ويجوز الكسر حينئذٍ والرفع وهـذا منه وتفسرها القراءة الأخرى يا بشراي فكأنه قال يا بشراي هـذا أوانك فاحضري ، وقيل ان هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء والبشارة أما لنفسه أو لقومه ورفقته .

ومن ذلك ما ذكره بعضهم في قوله تعالى : (خلق الانسان من عجل) أي من طين بناء على ان العجل هو الطين بلغة حمير كما قال القائل :

النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل منبته في الماء والعجل

واعترض بانه لا تقريب لهذا المعنى في هذا المقام وانما المراد بالعجل العجلة وهي طلب الشيء وتحريه قبل اوانه جعل الانسان لفرط استعجاله وقلة صبره ، كأنه مخلوق من نفس العجل بدليل قوله تعالى : (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) والنهي عن استعجالهم مع ان نفوسهم جبلت على العجلة ليمنعوها عما تريد وليس هذا من التكليف بما لا يطاق لأن الله تعالى اعطاهم من الاسباب ما يستطيعون به كف النفس عن مقتضاها ويرجع هذا النهي الى الامر بالصبر .

ومن غريب التفسير على ما قال في روح المعاني قول بعضهم في قوله تعالى : (وما كنا للغيب حافظين) اى لليل وهو بهذا في لغة حمير وكأنهم قالوا وما شهدنا الا بما علمنا من ظاهر حاله وما كنا لليل حافظين اى لا ندري ما يقع فيه فلعله سرق فيه او دلس عليه . قال الآلوسي عليه الرحمة وما ادري ما الداعي الى هذا التفسير المظلم مع تبلج صبح المعنى المشهور .

ومن غريب التفسير على ما قال في البحر :وقالت فرقة في قوله تعالى (لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين) البحران كناية عن موسى والخضر فانهما بحر علم وهذا شبيه بتفسير الباطنية

وغلاة الصوفية والاحاديث تدل على انهما بحرا ماء . وقال الزمخشري : من بدع التفسير ان البحرين موسى والخضر فانهما كانا بحرين في العلم .

ومن غريب التفسير ما ذكره الآلوسي في روح المعـاني بقوله :ومن غريب التفسير ما ذكر عن ابي عبدالله رضي الله تعـالى عنه انه قال في قوله تعالى : (وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الأرحام والرطب ما يحي واليابس ما يغيض وانا اجلّ ابا عبدالله رضي الله تعالى عنه عن التفوه بهذا التفسير اذ هو خلاف الظاهر جداً . ومثله في عـدم التبادر ما اخرجـه ابو الشيـخ عن محمد بن جحـادة انه قال ان لله شجرة تحت العرش ليس مخلوق الا له فيها ورقة فاذا سقطت ورقته خرجت روحه من جسده وذلك قوله سبحانه:(وما تسقط من ورقة) .

ومن غريب التفسير على ما ذكره الآلوسي عن ابن عيينه في قوله تعالى : (ان تضلّ احداهما فتذكر احـداهما الاخرى) ان معنى فتذكر الخ . فتجعل احـداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر فان فيه قصوراً من جهة المعنى واللفظ الى آخر ما قال ...

٢٣ ــ علم مناسبات الآي والسور

علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته ، وممن اكثر منه الامام فخر الدين الرازي فقال في تفسيره : اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط . وابو حيان في البحر المحيط ، وابو السعود ، والعمادي ، وقال ابن العربي في سراج المريدين :ارتبـاط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منظمة المباني ،عـلم عظيم لم يتعرض له الاّ عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجـد حملة

ورأينا الخلق باوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه ، وقال غيره اول من اظهر علم المناسبة الشيخ ابو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والادب وكان يقول على الكرسي اذا قرىء عليه لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام : المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام ان يقع في امر متحد مرتبط اوله بآخره، فان وقع على اسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن احسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في احكام مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض .

وقال الشيخ ولي الدين الملوي : قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة . وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما انزل جملة الى بيت العزة ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر .

وافرده بالتأليف العلامة الشيخ ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي شيخ ابى حيان المتوفى سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة في كتاب سماه (البرهان في تناسب سور القرآن) ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها ، والشيخ الامام برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٧٨٥ خمس وثمانين وثمانمائة وسماه (نظم الدرر في تناسب الآى والسور)وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من اسرار القرآن ما تتحير فيه العقول . والعلامة السيوطى اودع في كتابه المصنف في اسرار التنزيل مناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الاعجاز واساليب البلاغة ، وقد لخص منه مناسبات السور خاصة في جزء

لطيف سمّاه (تناسق الدرر في تناسب السور) قد نقل منه كثيراً العلاّمة الآلوسي صاحب روح المعاني .

٢٤ — علم فضائل القرآن وعلم افضله وفاضله

قد صح في فضل القرآن احاديث باعتبار الجملة وفي بعض السور على التعيين ، ووضع في فضائل القرآن احاديث كثيرة ، ولذلك صنف الامام السيوطي عليه الرحمة كتابا سماه (خمائل الزهر في فصائل السور) وحرر فيه ماليس بموضوع ، وقد اختلف العلماء هل في القرآن شيء أفضل من شيء فذهب الامام ابو الحسن الاشعري والقاضى ابو بكر الباقلاني وابن حيان الى المنع لأن الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وروى هـذا القول عن مالك . قال : يحي بن يحي لتفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك ان تعاد سورة وتردد دون غيرها ، وذهب آخرون الى التفضيل لظواهر الاحاديث منهم اسحاق بن راهويه وابو بكر بن العربى والغزالي وقال القرطبي : انه الحق ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين .

وافرد فضائل القرآن بالتصنيف ابو بكر بن ابي شيبة والنسائي وشهاب الدين ابوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة وهو مختصر وسماه (الإتقان في فضائل القرآن) . وابو العباس أحمد بن معد الاقليشي المترفي سنة ٩٤٩ تسع واربعين وتسعمائة وسماه (شفاء الزمان في فضائل القرآن) واختصره العزيز بن أحمد واول من صنف فيه كما في كشف الظنون الامام محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ اربع ومائتين .

وممن صنف فيه ابو العباس جعفر بن محمد المستغفري المتوفي سنة ٤٣٢ اثنتين وثلاثين واربعمائة ، وداود بن موسى الأودَني وابو العطاء المليحي وابو الفضل عبدالرحمن بن أحمد

الرازي، وابو عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي المتوفى سنة ٢٢٤ اربع وعشرين ومائتين، وابن الضريس ، وابو الحسن ابن صخر الازدي ، وابو ذر والضياء المقدسي ، ولابي الحسن علي ابن احمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ ثمان وستين واربعمائة مختصر فيه اخذ شمس الدين بن محمد بن طولون الدمشقي اربعين حديثاً منه ، و (أدلة فضائل القرآن) لبعض المتأخرين اولها (الحمد لله الذي امتنّ على عباده بنبيه المرسل) الخ .

٢٥ — علم حقيقة الفاظ القرآن ومجازها

عدّه الامام السيوطي من فروع التفسير في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) وقال فيه: لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن وفي كل لفظ بقى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير وهذا اكثر الكلام .

واما المجاز فالجمهور ايضا على وقوعه فيه وانكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية ، وشبهتهم ان المجاز اخو الكذب والقرآن منزه عنه وان المتكلم لا يعدل اليه الا اذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتأكيد وتثنية القصص وغيرها

واقول : الفرق ظاهر بين المجاز والكذب بان المجاز تذكر فيه قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي والكذب لا يذكر فيه قرينة على عدم ارادته بل الكاذب يظهر ان الكذب صدق ويروّجه وليس غرض الشاعر في قوله مثلا زيد حاتم او اسد او بدر الصدق في شعره وانما هو صناعة في الكلام وكذلك الكاتب اذا ذكر ما تجري به العادة من قوله انا في ذكرك آناء الليل والنهار ولا اخلي مجلسي عن ذكرك وانت احب إليّ من نفسي فهذا ليس

من قبيل الكذب وانما هو من باب تزيين الكلام .

ذكر الامام ابن حجر في كتابه الزواجر نقلا عن القفال : والكذب حرام بكل حال الا ان يكون على طريق الشعراء والكتاب في المبالغة كقوله انا ادعو لك ليلاً ونهارا ولا اخلي مجلساً عن شكرك .كيف يمنع المجاز وقد اختلف العلماء في ان الغالب في الاستعمال الحقيقة او المجاز وقد ذكروا ان الحق الثاني للاستقراء اما بالنسبة الى كلام الفصحاء في نظمهم ونثرهم فظاهر لأن اكثرها تشبهات واستعارات للمدح والذم وكنايات واسنادات قول وفعل لمن لا يصلح ان يكون فاعلا لذلك كالحيوانات والدهر والاطلال والدمن ولاشك ان ذلك تجوز ، واما بالنسبة الى الاستعمال المعلوم فكذلك فان الرجل يقول سافرت إلى البلاد ورأيت العباد ولبست الثياب مع أنه ما سافر إلى كلها ولا رأى كلهم وما لبس كل الثياب وكذلك يقول رأيت زيداً مع انه ما رأى الا جزءاً منه .

وقد افرده بالتصنيف الشيخ رضي الدين العزي وسماه (تلخيص البيان عن مجازات القرآن) . والشيخ ابن عبدالسلام عبدالعزيز سلطان العلماء المصري الشافعي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٠ ستين وستمائة وسماه (مجاز القرآن) . وقد اختصره جلال الدين السيوطي وسماه (مجاز الفرسان الى مجاز القرآن) .

٢٦ — علم تشبيه القرآن واستعارته

ذكره المولى ابو الخير من فروع علم التفسير وقال التشبيه من اشرف انواع البلاغة فهو اذن من مباحث علم البيان والتشبيه نوع من اشرف انواع البلاغة واعلاها قال المبرد في الكامل: لو قال قائل هو اكثر كلام العرب لم يبعد . وعرفه السكاكي بانه الدلالة على مشاركة امر لأمر في معنى وقال ابن ابي الاصبع : هو اخراج الأغمض الى الاظهر وقال غيره الحاق شيء بذي وصف في وصفه والغرض منه تأنيس النفس باخراجها من خفي الى

جليّ وادنائه البعيد من القريب ليفيد بيانا وزوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة ويقال في تعريفها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي والاصح انها مجاز لغوي لأنهـــا موضوعة للمشبه ولا لاعم فهما فاسد في قولك رأيت اسداً يرمي موضوع للسبع لا للشجاع ولا لمعنى اعم منهما كالحيوان الجريء مثلا ليكون اطلاقه عليهما حقيقة كاطـــلاق الحيوان عليهما . وقيـــل مجاز عقلي بمعنى ان التصرف فيها في امر عقلي لا لغوي لانها لا تطلق على المشبه الا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فيكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده وليس نقل الاسم المجرد استعارة لانه لا بلاغة فيه بدليل الاعلام المنقولة فلم يبق الا ان يكون مجازاً عقلياً . وقد افرد تشبيهات القرآن بالتصنيف ابو القاسم عبدالله بن محمد المعروف بالبندار البغدادي في كتاب سماه (الجمان في تشبيهات القرآن) وقيل هو لعبدالباقي بن محمد بن حسين المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وثمانين واربعمائة .

٢٧ — علم رسـوم الخط وآداب كتابته

قال اهل العلم خطان لا يقاسان: خط المصحف العثماني والخط في علم العروض وذلك ان تاء رحمة كتبت بتاء مجرورة مع ان القاعدة في الرسم ان ما وقف عليه بالهاء يكتب بتاء مربوطة نحو شجرة ونعمة وبقرة ، وما وقف عليه بالتاء يكتب بالتاء المجرورة نحو مسلمات وكتب ولا اوضعوا خلالـكم بالالف قبـــل الواء ، وكتب والسماء بنيناها بأييد بيائين ، وكتب نحـو محمد في العروض هكـذا (محممدُنْ) بميمين ونون بعـد الدال فانه يكتب عندهم حسب ما يلفظ به .

وقالوا يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وايضاحها ، ويكره كتابته في الشيء الصغير . وكان سيدنا (عمـــر) رضي الله عنه يسر اذا رأى مصحفاً عظيما ويكره

كتابته على الجدران والحيطان وكتابته على السقوف اشد كراهة لأنه يوطأ ، وتحرم كتابته بشيء نجس واما بالذهب فحسن كما قاله الامام الغزالي .

وافرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم الامام ابو عمر وعثمان بن سعيد بن عمر الاموي الشهير بابي عمرو الداني نسبة الى دانيه بلد بالاندلس المتوفي سنة ٤٤٤ اربع واربعين وأربعمائة ، وألّف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه ابو العباس المراكشي كتابا سماه عنوان الدليل في رسوم التنزيل يبين فيه ان هذه الاحرف انما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف احوال معاني كلماتها .

٨ – مطلب في العناية بالتفسير

« واهتمام الناس له في سائر الاقطار وفي ترتيب كتبه في القيمة والاعتبار »

١ – وليعلم ان شرف علم التفسير لا يخفى على ذي بصيرة . قال تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا) . اخرج ابن ابي حاتم وغيره من طريق ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (يؤتي الحكمة من يشاء) قال : المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله . وقال تعالى :(وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الاّ العالمون) . اخرج ابن حاتم عن عمر بن مرة قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا اعرفها الاّ احزنتني لأني سمعت الله يقول : (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الاّ العالمون).

وقد اجمع العلماء على ان التفسير من فروض الكفاية واجلّ العلوم الثلاثة الشرعية . وقال العلامة الاصبهاني: اشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن، بيان ذلك ان شرف الصناعة اما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فانها اشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب افادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح ، واما بشدة الحاجة اليها كالفقه فان

الحاجة اليه اشد من الحاجة للطب اذ ما من واقعة في الكون في احد من الخلق الاّ وهي مفتقرة الى الفقه لأن به انتظام صلاح احوال الدنيا والدين بخلاف الطب فانه يحتاج اليه الناس في بعض الاوقات . اذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث : اما من جهه الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه .

واما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الأبدية التي لاتفنى ، اذ به معرفة مراد الله جل شأنه من كلامه المنزل على لسان نبيه المبجل صلى الله عليه وسلم ومعرفة مواضع امره فتؤتى ، ومواضع نهيه فتجتنب ، ومعرفة الدلائل على وحدانيته واوصافه الكمالية ، وتواريخ الامم الغابرة واخبارهم مع انبيائهم الذين ارسلهم الله اليهم وما حل بالمخالفين والمعاندين منهم من السخط والوباء ليكون عبرة لمن بعدهم من الأمم الى غير ذلك من الفوائد الجليلة والنتائج النبيلة التي يشتمل عليها كتاب الله جل جلاله ولا يمكن الاطلاع عليها إلاّ بالإطلاع على كتب التفسير المنقولة نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلماء اصحابه الكرام .

واما من جهة شدّة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي او آجلي مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى. وقال مجاهد : احب الخلق الى الله تعالى اعلمهم بما انزل ، وقال الحسن : والله ما انزل الله آية إلاّ وهو يحب ان تعلم فيما انزلت وما اراد بها . وقال الشعبي: رحل مسروق الى البصرة في تفسير آية فقيل له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها . وقال أياس بن معاوية : مثل ألذين يقرؤن القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي

يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب، فهو الحري ان يصرف نفائس الانفاس لتحصيله طول الدهر ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر .

اذا كان هذا الدمع يجري صبابة ... على غير سلمى فهو دمع مضيع

كيف لا وهو الباحث عما اراد المولى عز سلطانه بكتابه العزيز المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولله در القائل :

نعم السمير كتاب الله ان له ... حلاوة هي احلى من جنى الضرب

به فنون المعانى قد جمعن فما ... يفتن من عجب إلا على عجب

امر ونهي وامثال وموعظة ... وحكمة اودعت في افصح الكتب

لطائف يجتليها كل ذي بصر ... وروضة يجتنبها كل ذي أدب

وقال الآخر :

ان العلوم وان جلت محاسنها ... فتاجها مابه الايمان قد وهبا

هو الكتاب العزيز الله يحفظه ... وبعد ذلك علم فرّج الكُربا

فذاك فاعلم حديث المصطفى فبه ... نور النبوة سن الشرع والأدبا

فاقرأ بفهم كتاب الله فيه اتت ... كل العلوم تدبّره تر العجبا

من ذاق طعماً لعلم الدين سرّ به ... اذا تزيد منه قال واطربا

وذكر صاحب التعليم والارشاد السيد بدر الدين الحلبي : انه قد يظن بعض الناس ممن تخيل له أوهامه أن في قدرة عقله أن يحيط بما بين العرش والفرش ، وأن في استطاعة كل أحد الوقوف على معاني القرآن والاحاطة باسراره باستصحاب أي قاموس من قواميس اللغة العربية ومن يرى من الناس أن نفسه تحدثه بذلك وتريه هذا الغرض الاقصى تحت يده فليختبرها بقصيدة من شعر أحد الجاهليين أو أحد المخضرمين أو أحد الاسلاميين

ويصحبها ما شاء من قواميس اللغة فان استشعر من نفسه العجز عن معرفة مراد قائلها منها وقصرت به أفكاره التي يثق بها فهي عن فهم كلام الله أكثر قصوراً وهي فيه أكثر باعاً وهـذا على ما تراه من الأهمية وشدة الحاجة اليه فطلاب العلوم الشرعية أقل الناس عناية بالتفسير وأزهدهم فيه ، فالطالب الذي يصرف عشر سنوات من عمره في تعلم النحو من حواشي المتأخرين أو بالحري يمضي عشر سنوات في قراءة قيل وقال واعترض واجيب مما ليس بعلم من العلوم بضن على كتاب الله وقانون دينه ومبدأ سعادة البشر في النشأتين بسنة يصرفها في قراءة تفسير من تفاسيره اللطيفة الموثوق بها والمعلومة درجة مؤلفيها وطبقتهم بين العلماء وليس هذا الذي نقوله خاصاً بطلبه مصر أو قطر معين بل طلاب العلوم الشرعية في جميع الأقطار والأمصار قد طرحوا هذا القسم من الفنون وجعلوه دبر آذانهم ولم يعيروه أدنى نظر والتفات .

وإذا كان هذا حال العلم والتعليم في سائر البلاد الاسلامية وهذه درجته في الاختلال ، وكان على علاته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية والعربية ، فكيف ترى حالة العلم فيها وهل شيء يساويها اعتلالا ؟

ومجمل القول في علم التفسير انه مهجور بين الطلاب ـ طلاب العلوم الشرعية في الممالك الاسلامية كلها وأن من نظر منهم في كتاب من كتبه فنظرة من دون قصد أو بقصد لا يصحبه شيء من الاعتناء والاهتمام، وعنايتهم بالدواوين الشعرية على أنهم لا يتعاطون نظمه ولا يحسنونه ولو تكلفوه فوق اعتنائهم بعلم التفسير اضعافاً مضاعفة ، والذين يقرؤن شيئاً من علم التفسير وكتبه يشتغلون بكل شيء سوى التفسير فيضيع المقصود من الفن فيما بين تلك المباحث التي لها أول وليس لها آخر . والذي طبع من نحو قرن في مصر وهي محط رجال العلوم الدينية وكعبة العلوم التي يفد اليها الحجاج من جميع الآفاق والقدوة لكافة أهل الامصار يرى العجب العجاب، يري أن الذي طبع منها إلى الآن تفسير

الخازن ، وتفسير الجلالين بحاشية الصاوي وبحاشية الجمل المسماة بالفتوحات الإلهية ، وتفسير البيضاوي بحاشية شهاب الدين الخفاجي بثمانية اجزاء ، والكشاف بقطعة من حاشية السيد وتفسير فخر الدين الرازي وتفسير أبي السعود ، وتفسير النسفي وتاج التفاسير لابن جرير الطبري وطبع الدر المنثور وتفسير الخطيب الشربيني وتفسير محمد صديق حسن خان المسمى فتح البيان في تفسير القرآن وتفسير ابن عباس ، وبعض تفاسير ضئيلة ، هذه هي كتب التفاسير التي تتداولها أيدي الناس اليوم وهي التي يعتمد عليها طلاب العلوم الشرعية في تفسير كتاب الله جلّ شأنه والوقوف على مراد منه .

٢ — تفسير الخازن : فاما تفسير الخازن وهو أكثر كتب التفاسير تداولا واعظمها انتشاراً بين عامة المسلمين وطلبة العلوم الشرعية ، فهو الكتاب الذي يقف القلم حائراً عند وصفه ما يقول فيه وما الذي يحذر به المسلمين منه ، وخير ما يقال فيه إنه مجموعة من الاكاذيب ولا أرى إلا أن الانسان لو جرد ما فيه من الاكاذيب الموضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم والأقاصيص الكاذبة التي وضعها اليهود كقصة بابل والغرانيق وارم ذات العماد وغيرها لكانت فوق نصف الكتاب إلى اشياء أخر ان لم تضر لم تنفع وهو على اشتماله على هذين الوصفين اللذين هما من أقبح أوصاف المؤلفات ، العمدة لعامة المسلمين وأكثر طلبة العلوم الشرعية وأكثر انتشاراً بينهم ، ولقد أرى أن نسخه التي نشرت في مصر لا تقل عن عشرة آلاف نسخة فسد بواسطتها عشرة اضعاف هذا العدد من المسلمين ودخل عليهم في دينهم ما ليس منه من حديث موضوع وتفسير مفترى .

ومن العجيب أن لا يوجد في علماء الاسلام من ينهى الناس عن نشر مثل هذه الكتب المفسدة للعلوم والشرائع ، المضرة بالاخلاق والعقائد ، وقد لا يخلو بلد من بلاد الاسلام من قوم من أهل العلم ولو قليلين يعرفون ما في هذه الكتب من المفاسد ولا يحظرون

على الناس استعمال هذه الكتب لاتقاء شرها ، بل ربما سئلوا عنها فاثنوا عليها خيراً مسايرة لميول العامة ومصانعة لهم فيما هو من أهم مهمات الدين .

٣ - تفسير الجلالين : واما تفسير الجلالين بحاشيتيه الجمل والصاوي فهما يساويان تفسير الخازن انتشاراً وكثرة تداول ، إلا أن انتشار الخازن بيد العوام اكثر وانتشار هذين بيد الخاصة أعني طلاب العلوم الشرعية اكثر ، فاما الشرح فهو في غاية الإختصار لا يمكن الاستقلال به في فهم كتاب الله تعالى ، حتى ذكر بعض علماء اليمن انه عد حروف القرآن الكريم وتفسير الجلالين فوجدهما متساويين إلى سورة المزمل ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن ، وذكر ابن حجر في الفتاوى الحديثية ان كلمات تفسير الجلالين تزيد على كلمات القرآن المجيد بخمس عشرة وفيه علل أخرى لا تخفى على من جمع بينه وبين بعض تفاسير المتقدمين الموثوق بها وبمؤلفيها ، واما حاشيتاه الضخمتان فهما من مؤلفات متأخري أهل العلم بمصر وحسبك هذا في معرفة منزلتيهما بين المؤلفات وقد اشتملتا على ما اشتمل عليه تفسير الخازن من الاسرائيليات والحكايات الواهيات .

٤ — واما الكشاف وتفسير القاضي البيضاوي الذي هو مختصر الكشاف فانه قد لخص من الكشاف ما يتعلق بالاعراب والمعاني والبيان وأزال عنه الاعتزال واستدرك عليه واجاد ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الاشارات وضم اليه شيئاً من بنات الأفكار فهما المشكاة التي لا تحل اجمالا واغلاقاً وغموضاً ، ولشدة عراقتهما في ذلك اكثر المتأخرون من تعليق الحواشي والشروح التي عليهما لأربت على الف مجلد ، وما ذكره صاحب كشف الظنون مما كتب عليهما قليل من كثير ، ولولا انهما يخفيان إلا على حل الرموز والطلاسم واستخراج المخبئات لم يعتن من جاء بعدهما بالتوسع في الكتابة عليهما والمبالغة في توضيح غوامضهما ، وفوق هذا كله اشتمالهما على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير بالمرة لا ترتبط فيه بوجه من

الوجوه كالمسائل الكلامية التي حشيا بها كتابيهما وهي ليست من فن التفسير ولا من متعلقاته ، وإنما كان الغرض من ذكرها بيان معتقديهما والاستشهاد له بكتاب الله تعالى ، ومع هذا لم يتحرجا عن ذكر الاحاديث الموضوعة أو الضعيفة التي ذكرت في فضائل السور . قال بعض المحدثين : إن من الموضوع الاحاديث المروية عن أبي بن كعب في فضائل السور ، والمراد أكثرها . قال العلامة الصفاني وضعها رجل من (عبّادان) واعتذر بان الناس لما اشتغلوا بالاشعار وفقه أبي حنيفة وغير ذلك ونبذوا القرآن وراء ظهورهم أردت أن أرغبهم فيه .

وذكره صاحب كشف الظنون نقلا عن شمس الدين الاصفهاني رحمه الله انه قال في تفسيره الجامع بين التفسير الكبير والكشاف : تتبعت الكشاف فوجدت أن مأخذه أرق من الزجاج ، وقال الشيخ حيدر في حاشية الكشاف : انه كتاب عالى القدر رفيع الشأن لم ير مثله في تصانيف الاولين ولم يروا مثله في تأليف المتأخرين غير أنه التزم في كتابه اموراً ادهشت رونقه ومزاياه وابطلت منظره ورؤياه فتكدرت مشارعه الصافية ، وتضيقت موارده الضافية ، وتنزلت رتبته العالية . منها انه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده فقد تكلم عن الصوفية في سورة آل عمران عند قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم) وفي سورة المائدة عند قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) . قال الامام الرازي عليه الرحمة : خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن على أولياء الله وكتب فيها ما لا يليق بعاقل ان يكتب مثله في كتب الفحش فهب أنه اجترأ على الطعن في أولياء الله تعالى فكيف اجتراؤه على كتبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد .

(ومنها) انه كلما شرع في تفسير آية من الآيات القرآنية مضمونها لا يساعد هواه

ومدلولها لايطاوع مشتهاه ، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة ، وتعسفات جامـــدة ، وصرف الآية بلا نكتة لغير ضرورة عن الظاهر وفيه تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى وليته يكتفي بقدر الضرورة بل يبالغ في الاطناب والتكثير لئلا يوصف بالعجز والتقصير فتراه مشحوناً بالاعتزالات الظاهرة تتبادر الى الافهام والخفية التي لا تتسابق اليها الأوهام بل لايهتدي الى حبائله إلا بعض الأذكياء الحذاق ، ولا ينتبه لمكائده إلا واحد من فضلاء الآفاق ، فمن ذلك قوله تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا آباءنا والله أمرنا بها) أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم . وبان الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق العلم والثاني أفتراء على الله والحاد في صفاته فهذا منه من الاعتزال الخفي وغرضه أن يمهد قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والأصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم من ذلك غرض لأن المنكر عليهم دعواهم إن الله تعالى أمرهم بالفحشاء وهم كاذبون في هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الأمر سلب الارادة .

ومن ذلك قوله في سورة الانبياء عند قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) مقربون مفضلون عندي على سائر العباد ، جعل القرآن تبعاً لرأيه فإنـه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وتناول منها ما لا تعطيه لأنه آدعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لاعلى بعضهم فدعواه شاملة ودليله مطلق .

ومن ذلك قوله في سورة البقرة عند قوله تعالى (يضل به كثيراً) إسناد الاضلال إلى الله تعالى من اسناد الفعل إلى السبب إلى آخر ما قال . قال ابن المنير صاحب الانتصاف : جرى على سنة السببية في آعتقـاد أن الاشراك بالله وان الاضلال من جملة المخلوقات الخارجـة عن عدد مخلوقاته عز وجل بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وما أشنع تصريحه بأن الله سبب الاضلال لاخالقه الخ .

ومنها أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة فتارة يعبر عنهم بالمجبرة ، وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد .

ومن الوجوه التي تفرد بها الإمام البيضاوي وقيل أنه مما لاينبغي أن يكون من الوجوه التفسيرية السنية ماقاله عند قوله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله)، حمل الملائكة العرش وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له قال العلامة الآلوسي : وذهب بعضهم إلى أن حمل العرش مجاز عن تدبيره وحفظه من أن يعرض له ما يخل به أو بشيء من أحواله التي لايعلمها إلا الله عز وجل وجعلوا القرينة عقلية لأن العرش كرسيّ في حيزه الطبيعي فلا يحتاج إلى حمل ونسب ذلك إلى الحكماء وأكثر المتكلمين ، وكذلك ذهبوا إلى أن الحفيف والطواف بالعرش كناية أو مجاز عن القرب من ذي العرش سبحانه ومكانتهم عنده تعالى وتوسطهم في نفاذ أمره عز وجل والحق الحقيقة في الموضعين وما ذكره من القرينة العقلية في حيز المنع .

٥ — وأما تفسير أبي السعود العمادي المسمى بارشاد العقل السليم فانه ملحق بهذين التفسيرين أعني تفسيري الكشاف والبيضاوي فانه صورة أخرى لهما مع بعض تغييرات يسيرة جداً ، ويلحق تاج التفاسير بتفسير الجلالين ونسبته اليه كنسبة تفسير أبي السعود إلى الكشاف والبيضاوي وان اختلف عنه فيسيراً .

٦ — وأما تفسير فخر الدين الرازي المسمى بمفاتيح الغيب والمشهور بالتفسير وهو كتاب العامة والخاصة وعمدة الناس في هذا الموضوع فيقول أبو حيان في تفسيره : تفسير الإمام الرازي فيه كل شيء إلا التفسير . وما أحسن ما ترجم به أبو حيان هذا التفسير الكبير بل البحر العميق ، وقد يفتح الانسان جزء من أجزاء هذا التفسير للمراجعة والكشف فيه عن تفسير آية من آي كتاب الله فلا يشعر إلا وقد توسط بحراً لجيّاً لايخلص الانسان منه إلى ساحل .

ويظهر مما كتبه الإمام فخر الدين في مقدمة كتابه انه قد أودع كتابه كثيراً مما لا تعلق له بعلم تفسير كلام الله ولا ارتباط له فيه بوجه من الوجوه ، وإنما كان غرضه مما جمعه في تفسيره من هذه المسائل الغريبة مع ان الكتاب في تفسير كتاب الله خاصة على ما يظهر من كلامه في أول كتابه أن يبرهن على حقية ما قاله لبعض مناظريه من أن كتاب الله جل ثناؤه وعلا سلطانه لا يمكن استقصاء ما فيه من الأسرار ولا الإحاطة بما فيه من المعاني والحكم ولو كتب في ذلك مئآت من المجلدات ، وان سورة الفاتحة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة ، ولذلك وضع في تفسير الفاتحة مجلداً لردّ ما أنكره المنكرون عليه ، وان كان لم يضع شيئاً بالرد عليهم بحشو كتابه بهذه المسائل التي ذكرها ولا ارتباط لها بتفسير كتاب الله تعالى بوجه من الوجره ،وكل كلام مؤلف كلام الله أو غيره يمكن للعالم أن يتوسع في الكتابة عليه إلى مثل ما توسع به الإمام فخر الدين في تفسير كتاب الله تعالى . والمؤلف إذا أغمض عينيه وتسامح في تأليفه ،وراعى المناسب والمجاور ومجاوره استطال في يده حبل الكلام فلم يقف به عند حد ، ولقد رأينا لمتأخر من متأخري المصريين يدعى (السحيمي) حاشية على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد تقع في أربع مجلدات ضخام على أن (الأمير) وهو أطول باعاً منه في علم الكلام وأدق نظراً استوعب الكلام على شرح عبد السلام في مجلد صغير وكان في قدرة (السحيمي) أن يضيف إلى مجلداته الأربع أربعة أخر ولكن رأي إن الاقتصار على هذا المقدار كاف في البلاغ إلى ما قصده من البرهان على سعة إطلاعه .

٧ — وأما التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي : فقد زعم انه اختصر به على عادته تفسير ابن جرير الذي جمع فيه صحاح الأحاديث المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى وبيان أسباب النزول ، وأضاف السيوطي في مختصره أحاديث واهية الإسناد في

هذا الموضوع نفسه ومزجها بتلك الأحاديث - أحاديث الأصل فاختلطت بها حتى لا يمكن التمييز بينها وقلت الثقة في الجميع حتى رأيت قد أورد نحو مائة وخمسين حديثاً في الخمر عند قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) . الآية . واقتصر ابن كثير في تفسيره نحو خمسة وعشرين حديثاً في هذا المقام .

وربما استبعد أحد أن يضع السيوطي في تفسيره الدر المنثور أحاديث واهية الإسناد أو موضوعة مع ماله من المؤلفات في موضوعات الأحاديث كاللآلي المصنوعة. فنقول : ان من علم طريقة السيوطي في التأليف لم يستنكر هذا الذي قلناه ، وطريقته رحمه الله تعالى على ما علمنا من استقراء كتبه انه كلما وقع اليه كتاب من الكتب في أي فن من الفنون واستحسنه اختصره ونسبه إلى نفسه بدون تمييز بين غث وسمين ولا وقوف على حقائق العلوم ، ولذلك تراه مضطرباً في كتبه لأنه لايحكم فكر نفسه وإنما يحكم فكر مؤلفه هو فيضيفه الى نفسه ببعض تصرف يحدثه في الكتاب ، وان كنت قد قرأت في كتابه الذي سماه الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، وكتابه الذي سماه اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، ورأيت في الجامع الصغير كثيراً من الأحاديث التي نص في كتابه اللآلي على أنها موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصح عنه بطريق من الطرق جزمت بصحة هذا الذي قلناه وعلمت انه لا يؤلف وإنما يلخص كتب الناس وينسبها إلى نفسه ، ولقد كان رحمه الله تعالى محافظاً على هذه الطريقة ملازماً لها لايصده عنها صاد ، ولا يمنعه منها مانع ولا يرحم فيها مؤلفاً ولا يشفق على مؤلف .

وقد بالغ الشيخ أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي في خطبة كتابه (معجم البلدان) في التلطف للسيوطي وأمثاله وأكثر من الاسترحام لهم أولا ثم تخويفهم ثانياً لئلا يمسخوا له كتابه فقال : ولي على ناقل هذا الكتاب والمستفيد منه أن لايضيع نصبي له ونصب نفسي له وتعبي بتبديد ما جمعت وتشتيت ما لفقت وتفريق ملتئم محاسنه ونفي كل

علق نفيس عن معادنه ومكامنه ، باقتضابه واختصاره ، وتعطيل جيده من حليه وأنواره ، وغصبه اعلان فضله واسراره ، فرب راغب عن كلمة غيره متهالك عليها ، وزاهد في نكتة غيره مشغوف بها ينضي الركاب اليها ، فان اجبتني فقد بررتني جعلك الله من الابرار ، وان خالفتني فقد عققتني والله حسيبك في عقبى الدار .

ثم اعلم أن المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سوي فقطع اطرافه ، فتركه اشل اليدين أبتر الرجلين ، اعمى العينين ، أصلم الاذنين ، أو كمن سلب امرأة حليها فتركها عاطلا ، أو كالذي سلب الكمي سلاحه فتركه أعزل راجلا ، فما رق السيوطي لاستعطافه ، ولا رثى لبكائه ولا خاف عاقبة ما حذره منه ، فاختصر كتاب (معجم البلدان) بكتاب سماه : (مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع [1]) اختصاراً فاحشاً ، تركه كفهرس لأسماء البلدان والمواضع ، وجرده من كل الفوائد التي ملأ بها صاحب المعجم كتابه ، كضبط أسماء البلدان ، وبيان معانيها وبيان اشتقاقها ، وذكر قسم من تاريخها وآثارها وخواصها وعجائبها ، ومن فتحها من المسلمين ، وكان فتحها صلحاً أو عنوة ، ومن نسب اليها من أهل العلم والصلاح ، وما قيل فيها من الأشعار . فكان مختصر السيوطي خلواً من كل فائدة ، وأنْ بلغت مؤلفاته إلى نحو مائة مؤلف .

واشبه الناس بالسيوطي في عصره العلامة شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا فقد كان رحمه الله ولوعاً جداً بانتحال الكتب العلمية ، إلا أن طريقته فيها غير طريقة السيوطي ، وطريقته اصلاح كتب العلماء بتغيير عباراتها مع المحافظة على المعاني والتجافي عن مواضع الإعتراض فيها ، والتنبيه على ما وقع من الخلل فيها بحسب رأيه وفكره ، فله : اصلاح الإيضاح واصلاح المفتاح ، واصلاح السراجية ، واصلاح الهداية ، وغيرها من كتب الاصلاح التي كان يغنيه عنها تعليقات قليلة على الكتب التي زعم أنه أصلحها ولم يصنع فيها شيئاً ، وصاحب الشقائق النعمانية يقول : ومن المكثرين في التأليف في عهد السلطان سليم السيوطي في

(١) إن كتاب : (مراصد الاطلاع) هو لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، وقد طبع ثلاث طبعات : في اوربة وفي ايران وفي مصر [مصححه] .

مصر، وابن كمال باشا بديار الروم، كان يكتب جميع ما لاح ببالهالشريف،وقد فترالليل والنهار ولم يفتر قلمه ، وصنف رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة ، وكان عدد رسائله قريباً من مائة رسالة إلا أن ابن كمال أدق نظراً من السيوطي وقد علمت شأنيهما .

٨ — واما (تفسير محيي الدين) : فهو مسخ للقرآن ، ونقض للدين من أساسه ، ويرى بعض الباحثين أنه ليس من مؤلفات محيي الدين ، وإنما هو من مؤلفات(القاشاني) أحد الملاحدة الباطنية نسبه لمحيي الدين ليروجه بين عوام المسلمين ومن يستميتون إلى ما يقوله محيي الدين مهما كان حاله ، والظن بمحيي الدين انه لا يضع مثل هذا الكتاب ، ولا يذهب هذه المذاهب الفاسدة في تفسير كتاب الله تعالى ، وسواء كان من مؤلفات محيي الدين أو غيره فان انتشاره بين المسلمين بحت ضرر سيما ولا موقف يوقف الناس على الصحيح والفاسد من هذه الكتب .

٩ — واما (تفسير الامام النيسابوري) : المسمى بغرائب القرآن ، فهو مأخوذ اكثره من تفسير الامام الرازي وبعضه من الكشاف وسائر التفاسير ، ويوجد فيه تفسير بعض الآيات على طريق أهل الاشارات ، كما استفيد من ديباجة تفسيره حيث قال : « ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الامام النحرير قد طابق اسمه مسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى ، ومن الزوائد والنثوث ما لا يخفى ، حاذيت سياق مرامه ، وأوردت حاصل كلامه . وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من المهمات ، وما رزقني الله من البضاعة المزجاة ، واثبت القراءات المعتبرات ، ثم التفسير مع اصلاح ما يجب إصلاحه ، واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل الموردة في الكبير ومع حل مايوجد في الكشاف سوى الابيات المعقدات فانه يوردها من ظن ان تصحيح القراءة وغرائب القرآن إنما يكون بالأمثال ! كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه » ، وذكر في آخره « وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير وجل كتاب الكشاف ، وجمع ما في

اكثر التفاسير واحتوى على النكت المستحسنة الغريبة مما لم يوجد في سائر التفاسير. اما الاحاديث فاما من الكتب المعتبرة واما من الكشاف والكبير إلا الاحاديث الموردة في الكشاف في فضائل السور فانا اسقطناها لأن النقاد زيفوها إلا ما شذ منها ولم امل فيه إلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة فبيّنت اصولهم ووجوه استدلالاتهم بها وما وردعليها، واما في الفروع فذكرت استدلالات كل طائفة بالآية على مذهبه من غير تعصب ومراء ولقد وفقت لأتمامه في مثل مدة خلافة علي كرم الله وجهه».

١٠ وأما (تفسير ابن عباس): فهو من مؤلفات (مجد الدين الفيروز آبادي) صاحب القاموس، جمع فيه رواية محمد بن السائب الكلبي عن ابن عباس، وحال ابن السائب الكلبي وضعفه وقلة ثقة العلماء بمروياته معلوم لا يخفى على الخواص، وتوهم الجاهلون ان ابن عباس هو الذي الفه، والحق أن الصحابة لم يكتبوا في التفسير شيئاً وإنما رويت عنهم فيه روايات كما رويت الاحاديث المرفوعة، وكاتب هذا التفسير يزعم انه اعتمد على ما روي عن ابن عباس ولكن الروايات عنه كثيرة متناقضة فبعضها صحيح وبعضها مكذوب بالضرورة، إذ لا يمكن ان يفسر الآية الواحدة أو يقول في الحكم الواحد بقولين متناقضين، واقوال المحدثين تؤيد هذا الحكم بان بعضها صحيح وبعضها غير صحيح.

١١ — واما (تفسير ابن كثير) فهو تفسير جيد وسط في بابه، حسن في نسقه واستغرابه، اتخذ فيه طريقة حسنة، وسلك فيه محجة مستحسنة، التزم تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل بمكان: فانه قد بسط بمكان آخر، فان لم يجد قصد إلى السنة النبوية الشارحة للقرآن الموضحة له كما قال بعضهم:

كتاب الله يحوي كل شيء وسنة أحمد المختار شرحه

فان لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة عمد إلى أقوال الصحابة الكرام والعِلْمِ الصحيح لا سيا علماؤهم كالأئمة الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، فان لم يجده في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رجع الى أقوال

التابعين كسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر والحسن البصري وسعيد بن المسيب فيذكر اقوالهم فربما وقع في عباراتهم تباين ظاهر فحسبها من لا علم عنده اختلافاً فحكاها اقوالا وليس الأمر كذلك فان منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في اكثر الاماكن فليفطن لذلك اللبيب .

قال شعبة بن الحجاج وغيره : « اقوال التابعين في الفروع ليست بحجة فكيف تكون حجة في التفسير » يعني أنها لا تكون حجة ، فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو الى عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك فاما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام . وهذا الامام ابن كثير اذا نقل عن غيره كابن جرير والرازي وغيرهما قولا لم يقبله بمجرد التقليد بل يحكم فيه رأيه فما رآه صواباً أقرّه ، واذا لم يستصوبه رده وانتقده ، وبيّن الصحيح من الضعيف ، والراجح من الرجيح ، وهذا المنهج دليل على قوة ملكته العلمية ، وتصرفاته الفكرية رحمة الله تعالى عليه ، واكثر تفسيره في المنقول ، وقلما ينجر الى القول في المعقول .

١٢ ـ وأما تفسير الإمام الشوكاني ، السهيل الطالع من القطر اليماني المسمى بفتح القدير ، فهو تفسير جيد حيث جمع بين الرواية والدراية وحرص فيه مؤلفه على ما ذكره في مقدمة تفسيره على الترجيح بين التفاسير المتعارضة وبيان المعنى العربي والاعرابي والبياني باوفر نصيب ، وايراد ما ثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او الصحابة او التابعين مما رواه ابن جرير وابن كثير والقرطبي والسيوطي وغيرهم واشتمل على جميع ما تدعو اليه الحاجة مما يتعلق بالتفسير مع اختصار لما تكرر لفظاً واتحد معنى ، واحتوى على ما في كتب التفسير من بدائع الفوائد ، مع ضم زوائد ، من القواعد الشوارد ، وقال فيه : فان احببت ان تعتبر صحة هذا فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة ، انظر تفاسير المعتمدين على الرواية ، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين ، فعند ذلك

يسفر الصبح لذي عينين ، وبتبين ان هذا التفسير هو لب اللباب ،وعجب العجاب ،وذخيرة الطلاب ، وهذا التفسير كما ذكره من البيان ، وبعد الامتحان ، لا يتوقف الانسان .

والشوكاني نسبة الى شوكان بفتح الشين وسكون الواو وبالكاف والف ونون بعدها، قرية من قرى اليمن .

١٣ — وأما (التفسير المسمى فتح البيان في تفسير القرآن) . للعلامة محمد صديق حسن خان فهو تفسير جيد ايضاً كتفسير الامام الشوكاني من حيث الجمع بين الرواية والدراية والتحقيق لما هو الصحيح ، والتميز بين الراجح والرجيح ، إلا أنه كان موضوعا بطريقة المزج بمتن القرآن بخلاف ما قبله ، وقد ضاهاه وحاكاه في اكثر المواضع لفظاً بلفظ وزاد عليه في مواضع عديدة وقد احسن وما اساء كما قال بعضهم في هذا الباب :

سبقوا الى المعنى فجئنا بعدهم زدنا على المعنى فكل محسن

١٤ — وأما (تفسير الامام الثعالبي) المسمى بالجواهر الحسان ، فليس له فيه يد ونصيب ، سوى الاخذ والترتيب على ما يفهم من خطبة كتابه ، فهو زبدة ما في تفسير ابن عطية وابن حيان واعراب الصفاقسي مختصر تفسير ابى حيان ، وحيث اطلق الكلام فهو من ابي حيان ، وزاد عليه من كتب اخر بلغت نحو مائة مؤلف ، وجعل للمذكورين رموزاً فالعين اشارة لابن عطية ، والصاد للصفاقسي . وما كان له كان رمزه (ت) بدلاً من قلت ، ومن عادته انه لا ينقل الشيء عن غيره بالمعنى خوفا من الوقوع في الزلل بل ينقله باللفظ ويعزو ذلك اليه . وبالجملة هو تفسير لرجل من العلماء العاملين رؤيت له الرؤى التي تدل على قبول تفسيره غير انه تفسير مختصر مقتضب يكون كتعليقات المحشين على بعض المواضع من المتون التي ابهمت بعض معانيها فهو الجواهر الحسان لكنها منثورة ، وربما لم ينل مراده من اراد شفاء الغليل ، ومن قصد الصحيح من التفسير دون العليل ، فهو يضاهي

تفسير العلامة محمد بن احمد بن جزي الكلبي المسمى بالتسهيل ، لكن التسهيل احسن سبكا منه وأعم فائدة عندي ، والله أعلم بحقائق الأمور .

١٥ — وأما (روح البيان) التفسير المنسوب لأبي الفـداء اسماعيل حقي ، فانه لا يتحاشى عن ذكر الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، والحكايات الواهية الباطلة المصنوعة، كذكره حديث : «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » ، ذكره على انه حديث مع انه من قول علي كرم الله تعالى وجهه على ما ذكره الملا علي القاري ، وذكره حديث : «موتوا قبل ان تموتوا» . وقد قال ابن حجر : هو غير ثابت بل هو من كلام الصوفية وكذا علي القاري . وذكره حديث : «علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل » ، وقد قال العلامة الدميري والزركشي والعسقلاني: لا اصل له ، وذكره حديث «الشيخ في قومه كالنبي في امته» . رواه ابن حيان في الضعفاء ، وقال ابن حجر كأبن تيمية : انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما يقوله بعض اهل العلم وربما اورده بعضهم بلفظ الشيخ في جماعته كالنبي في قومه يتعلمون من علمه ويتأدبون بادبه ، وكل ذلك باطل ، وحديث : «من عرف نفسه فقد عرف ربه » مع انه حديث موضوع كما ذكره ابن تيمية، وقال النووي: ليس بثابت، وحديث: « أنا مدينة العلم وعلي بابها» وقد قيل انه منكر ، وقال ابن معين : انه كذب لا اصل له وقيل غير ذلك . وحديث «خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحميراء » ، وهي عائشة والحميراء تصغير الحمراء بمعنى البيضاء على ما في النهاية ويروى شطر دينكم والشطر النصف، قال السيوطي: لم اقف عليه ، وقال الحافظ المزي: لم اقف له على سند الى الآن ، وذكر الامام الذهبي انه من الاحاديث الواهية التي لا يعرف لها اسناد وان كان معناه صحيحاً على ما قاله علي القاري فان عندها من الدين استناداً ما يقتضي اعتماداً .

وحديث: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، فقد روي بطرق ضعيفة ، وحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، مع أنه حديث موضوع كما قال ابن تيمية وقال النووي ليس

بثابت، وحديث: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فعرفتهم بي فبي عرفوني، قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف.

وحديث: لولاك ما خلقت الأفلاك، قال الإمام الصغاني: أنه موضوع. وحديث: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار: موضوع عن غير قصد، ولا أصل له، اتفق أئمة الحديث على انه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه فظنّ أنّه حديث. وحديث: آل محمد كل تقيّ، قال السيوطى: لا أعرفه، ورواه الديلمي بأسانيد ضعيفة. وحديث: الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة حالي والمعرفة رأس مالي، قال صاحب رفع الالتباس: لم أرَ من ذكره فضلاً عن بيان حاله، نعم هو مذكور في كتب الصوفية. وحديث: لو عاش إبراهيم[1] لكان نبياً، ذكره في سورة الأحزاب قال النووي في تهذيبه هذا الحديث باطل وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على أمر عظيم.

وحديث: شاوروهنّ وخالفوهنّ، فانه لا يثبت بهذا المبنى وان كان له وجه من حيث المعنى. وحديث: أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم وليس من الشجر شجرة اكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران فأطعموا نساءكم الوُلّدَ الرطب فان لم يكن رطب فتمر، وفي سنده ضعف وانقطاع.

وكذكره ان جيوش بني اسرائيل مع موسى عليه السلام في التيه بلغت ستمائة ألف مقاتل مع انتقاد المحققين من فضلاء المؤرخين هذا العدد المبالغ فيه، ومن أراد الإحاطة بذلك فليرجع الى مقدمة ابن خلدون.

وذكره صخرة بيت المقدس من أنها معلقة بين السماء والأرض منفصلة عن الأرض، وان بيت المقدس أقرب للأرض من السماء بثمانية عشر ميلاً.

وذكره قصة الغرانيق في قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنّى القى الشيطان في أمنيته) التي اشتملت على خبر تمجه الاسماع ويُنزه عن الاتصاف به سيد

(١) يريد بابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفى طفلا (قاله مصححه).

الأنبياء مما لهج به بعض المفسرين اسراء التقليد . وذكره في سورة الفجر لقوم عاد ان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع . مع أن غاية طول آدم على ما قيل ستون ذراعا [1] .

وذكره عند قوله تعالى: (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا)، ما يزري بمقام نبي مرسل من أولي العزم وهو موسى عليه السلام بأن موسى لما قال هذا القول وقف ظبي بينهما وهما جائعان من جانب موسى غير مشوي ومن جانب الخضر مشوي لأن الخضر أقام الجدار بغير طمع وموسى رده الى الطمع مع ان موسى لم يقل ما قال طمعاً ولا بخلاً في إسداء المعروف لأهله وإنما قاله من باب تدبير المعاش وما يحصل به الانتعاش حيث لم يضيفهما أهل القرية ومنعوهما الطعام . وذكره إن موسى عليه السلام كان اذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته ناراً من شدة غضبه .

وذكره لجبل قاف وانه محيط بالأرض كإحاطة العين بسوادها وهو أعظم جبال الدنيا خلقه الله من زمرّدة خضراء أو زبرجد أخضر منه خضرة السماء والسماء ملتزقة به . قال العلامة الآلوسي في روح المعاني نقلاً عن القرافي: إنه لا وجود له وبرهن عليه بما برهن .

١٦ — وأما (تفسير الإمام البغوي) : فهو لايخلو من الاشتمال على الاخبار الواهية ، والقصص الاسرائيلية الخالية كذكره قصة عوج بن عنق على ما فيها من المبالغات التي تمجها العقول من أن طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع ، وانه كان يحتجر بالسحاب وشرب من مائه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ، وان الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج ، وان عنقود العنب في زمانه لايحمله إلا خمسة أنفس منهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع منها حبها خمسة أنفس .

وذكره في قصة يوسف عند قوله تعالى : (ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه) ، ان هم يوسف كان عبارة عن حل الهميان والجلوس من زليخا مجلس الخاتن على

---

(١) طول آدم كذلك مذكور في حديث مرفوع رواه البخاري [مصححه] .

ما هو رواية عن ابن عباس ولـكنه رأى برهان ربه فامتنع وفسر البرهان بأنه رأى أباه أو رأى جبريل عليه السلام ناصحاً له . قال العلامة الزمخشري : ولو ان أوقح الزناة وأشطرهم واحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي نبي الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه .

وذكره قصة الغرانيق مقلداً غيره من المفسرين الذين لا يبالون من نقل أشياء لا تناسب مقام النبيين ومقام سيد المرسلين من ان النبي قرأ بعد قوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) وقرأ فيما يزعمون : (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) الى آخر ما قيل من الأباطيل والترهات ، كيف يصح أن يقع ذلك منه وهو منزه معصوم مع ان ذلك ينافيـه ما يأتي كما لا يخفى على ذوي الإدراك والفهوم حيث قال تعالى ذاماً للأصنام : (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) الى غير ذلك من الأخبار .

١٧ — وأما (تفسير الامام النسفي) حافظ الدين عبـد الله بن أحمد المتوفي سنة ٧٠١ وقيل سبعمائة وعشر ، المسمى بمدارك التنزيل: أوله الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الأوهام ، فهو تفسـير وسط في التأويلات ، جامع لوجوه الاعراب والقراءات ، متضمن لدقائق علم البديع والاشارات ، موشح بأقاويل أهل السنّـة والجماعة ، خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة والشناعـة ، ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، فلذا قد عـكف الناس على تدريسه في سائر الأقطار ، لظهور فضله لفظاً ومعنى ظهور الشمس في رابعة النهار ، وان لم يخل عن تراخ وخلل وبعض تقصير ، كما لا يخفى على الفطن الناقد البصير ، فسبحان الله الملك عالم الغيب ، المنزه عن كل نقص وعيب .

والنسفى نسبة الى نسف بفتح النون والسين من بلاد السند فيما وراء النهر ، وقيل بكسر السين ولـكنها تفتح عند النسب ، وحافظ الدين لقب لإمامين (أحدهما) محمد بن محمد بن نصـر البخاري (والآخر) عبدالله بن أحمد أبو البركات صاحب (مدارك التنزيل

وحقائق التأويل) وصاحب كنز الدقائق والمنار في الأصول وشرحه كشف الأسرار والاعتماد شرح العمدة والوافي في الفروع وشرحه الكافي .

وأما عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل نجم الدين أبو حفص النسفي ، فهو مؤلف (العقائد النسفية) المشهورة وله (التيسير في التفسير) وبلغت مؤلفاته نحو مائة مؤلف . كان متكلماً مفسراً محدثاً فقيهاً نحوياً واليه أشار صاحب الوهبانية :

ومن لوليّ قال : طي مسافة ... يجوز ، جهول ثم بعض يكفر

وإثباتها في كل ما كان خارقاً ... عن النسفي النجم يروى وينصر

قيل إنه كان يعلم الأنس والجن ، ولذا قيل له مفتي الثقلين ، وهو رأس الأولياء في عصره ، وحكى من لطائفه أنه أراد أن يزور جار الله الزمخشري في مكة فلما وصل إلى باب داره ودق الباب ليفتحه قال العلامة الزمخشري : من هذا ؟ فقال عمر ، قال الزمخشري : عمر ينصرف ، فقال نجم الدين : عمر لا ينصرف ، فقال الزمخشري : إذا نكر ينصرف - ومن تصانيفه (طِلبة الطَّلَبة) مات سنة ٥٣٧ هـ سبع وثلاثين وخمسمائة .

١٨ — واما (تفسير ابن جرير الطبري) المنسوب للامام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، وقيل يزيد بن كثير بن غالب المجتهد المطلق أحد أئمة الدنيا ديناً وعلماً ، من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً . فقد قال (السيوطي) في الاتقان : أنه أجل التفاسير وأعظمها ، فانه يتعرض لوجوه الإعراب والاستنباط وتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض ، فهو يفوق بذلك على تفسير الاقدمين .

وقد قال (النووي) : اجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري ، وعن (أبي حامد الاسفراييني) أنه قال : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً . وروى أن أبا جعفر قال لاصحابه: اتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون الف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى الاعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فاجابوه بمثل ذلك ، فقال : انا لله ماتت الهمم فاختصره في نحو ما اختصر التفسير ، وهذا التاريخ أصح التواريخ . وقد نقل بعض المتأخرين

تفسير الطبري الى الفارسية لمنصور بن نوح الساماني . ذكر صاحب التعليم والارشاد صدر الدين الحلبي في مدحه تفسير ابن جرير فقال: هو الحسنة الوحيدة للمطابع الاسلامية بعد قرن واكثر من ظهور المطابع في الممالك الاسلامية ، ولولا ان بعض امراء الاعراب من سكان الجزيرة العربية راسل بعض المهتمين بمصر في شأنه وأعانه على ذلك بمساعدات جليلة لم يظهر له ظل في عالم المطبوعات . اهـ .

والطبري : بفتح المهملة والباء الموحدة وبعدها راء وهذه النسبة الى (طَبَرِسْتان) بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء مكسورة وسين مهملة ساكنة والتاء المثناة من فوقها المفتوحة وبعد الالف نون وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة ، أكبرها (آمل) خرج منها جماعة من العلماء والنسبة الى طبرية الشام (طبراني) .

ذكر (ابن خَلِّكان) في تاريخه في ترجمة الامام المذكور ما نصه : ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منسوبة اليه وهي :

اذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي   واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي   ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحت ببذل وجهي   لكنت الى الغنى سهل الطريق

وكانت ولادته سنة اربع وعشرين ومائتين (بآمل طَبَرِستان) وتوفي يوم السبت آخر النهار ودفن يوم الاحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى ، ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبراً يزار وعند رأسه حجر عليه مكتوب : هذا قبر ابن جرير الطبري ، والناس يقولون إنه صاحب التاريخ وليس بصحيح بل الصحيح انه ببغداد ، وكذلك قال (ابن يونس) في تاريخه المختص بالغرباء : انه توفي ببغداد . اهـ .

وذكر (تاج الدين السبكي) في طبقاته : انه دفن في داره برحبة يعقوب ولم يغير شيبه وكان السواد في رأسه ولحيته كثيراً وكان اسمر الى الادمة اعين نحيف الجسم مديد القامة فصيحاً اجتمع عليه من لا يحصيه الا الله تعالى وصلي على قبره عدة شهور ليلا ونهاراً ،

ورثاه خلق كثير من أهل الدين والادب من ذلك قول أبي سعيد ابن الاعرابي :

حدث مفظع وخطب جليل | دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلوم اجمع لمّا | قام ناعي محمد بن جرير

وقول ابن دريد :

ان المنية لم تتلف به رجلا | بل اتلفت علما للدين منصوبا
كان الزمان به تصفو مشاربه | والآن اصبح بالتكدير مقطوبا
كلا وايامه الغر التي جعلت | للعلم نوراً وللتقوى محاريبا

١٩ — واما (تفسير العلامة محمود شهاب الدين أبي الثناء الآلوسي المسمى بروح المعاني) فليس له في الجمع والتحقيق ثاني . اشتمل على تسع مجلدات ضخام ، حوت من الدقائق والحقائق ما لا يسع شرحه كلام ، وهو خال عن الأباطيل والإسرائيليات ، والروايات الواهية الخرافات ، وجامع للمعقول والمنقول ، بتفصيل وسط مقبول ، قد تعقب فيه على الزمخشري والبيضاوي وأبي مسلم الاصفهاني وهو محمد بن بحر المتوفى سنة ٣٢٢ اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وكذا على الامام الرازي في كثير من المسائل ، ورده منتصراً للامام الأعظم باوضح الدلائل ، كما حصل ذلك في تفسير سورة الفاتحة . ذكر الفخر الرازي ست عشرة حجة على أن البسملة من الفاتحة فاوردها العلامة الآلوسي كلها وزيفها بالادلة السديدة والحجج المفيدة فهو وان كان في الأصل شافعي المذهب لكنه انصف ولم يتعسف ، فانه على ما ينقل كان في صباه شافعياً لا يميل لسواه ، وقلد مدة افتائه الإمام الاعظم في معاملاته ، وبقي على ما كان عليه في عباداته ، وكان بعد عزله يقول أنا شافعي المذهب ما لم يظهر لي الدليل وإلا فليس على العمل من بخيل ، اتفق على تفضيله علماء عصره ، وعظماء قطره ومصره ، حتى قال فيه بعضهم: دخل وايم الله في حد الاعجاز ، وجمع غرر فوائد التفاسير وحاز ، فما لوامع الانوار وبدائع الاسرار إلا من عقد درر هذا البحر الزخار ، ولا اسرار التنزيل ورموز التأويل

إلا قبس من ذلك المصباح أو قطرة من زيت ذلك القنديل ، ولا شعشعة قلادة عقيان الكشاف إلا من حدائق انواره العبقرية ولا لمعة اشعة جواهر التفسير إلا من نقل سطور آياته المضية فلله دره من تفسيركم بطروسه من عروس ، وكم بمشارق سمائه من اقمار وشموس ، ولعمري لو رآه أحمد لحمد محمود أمره ، أو شامه مالك لانس به ولودّ لو انه ملكه لحظةً من عمره ، ولو ابصره الشافعي لقال هذا الشافي العي ، ولو قدم للامام الاعظم ، والمجتهد الاقدم ، لقال هذا الفقه الاكبر ، والجامع الأزهر ، ولو شعر به الاشعري لجزم بانه الابانة ، والحاوي لاصول الديانة ، ولو طالعه الماتريدي ، لقال بهذا فليهتد المهتدي ، ولو اهدى للباز الاشهب ، لوضع جناح قبوله عليه واعجب ، ولو عرض على صاحب الكبريت الأحمر ، لاعترف بانه الفتوحات التي لا تنكر . وبالجملة ماذا يقول الواصفون بوصفه وصفاته جلت عن الحصر .

وقال آخر في وصفه أيضاً : قد اتصل بروحه روح البيان ، في عالم ارواح المعاني والبيان ، وحوى الضوابط والاصول ، ونثر المعقول بنظم معقول ، ونظم المنقول بنثر غير منقول ، ان رمت منه الدر المنثور ، فهو مجمع البحر بل البحور ، وان تعرفت التصرف ، صادفت فيه أنه كنه التعرف ، وان طلبت العثور على ما فيه من لطائف المعارف ، وجدت فيه عوارف المعارف ، وان احتجت الى استخراج المجهول ، فمنطقة العذب المقول ، ومستصفى المحصول ، وقوى الاجناس والفصول ، وسالم من انواع الفضول ، وان تكلمت بالكلام ، فما اقواه من كلام ، وان عنيت المعاني ، فهو روح المعاني ، وان احببت البيان ففيه مجمع البيان ، وان اردت البديع فكله بديع ، وان نحوت النحو اغناك عن كتاب سيبويه ، وصرفت إلى الصرف صرفت ضرورة اليه ، كيف وهو كتاب الفه من امتزجت العلوم بروحه امتزاج الماء بالراح ، ورسخت الفهوم في صدره مع عظيم الانشراح ، المطالب العالية ممنوعة إلا بالاضافة اليه ، والمواقف السامية موقوفة بحكم قاضيها عليه ، كسب الفضائل وهو يافع ، وعلا على أبي عمرو بن العلاء وهو نافع جدير ان ينشد على لسانه في المنابر والمحافل .

واني وان كنت الاخير زمانه | لآت بما لم تستطعه الاوائل

وقد قرأ هذا التفسير جهابذة اعلام ، وسادات نخام ، اداء لبعض حق هذا التفسير الذي هو لفنون العلم مفيد ومشير . فمنهم السيد محمد امين الواعظ والخطيب في الحضرة القادرية وابو الهدى صفاء الدين عيسى البندنيجي وثالث الرافعي والنواوي مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي وهذا قوله فيه :

الا ان مولانا الشهاب ابا الثنا | ء محمود اهل العصر اشرفهم قدرا
وانقدهم طبعا واوقدهم ذكا | واثقبهم ذهنا واصوبهم فكرا
وما كنت ادري قبل علمي بفضله | بان لهذا الدين في عصرنا حبرا
تحققت بحرا قلبه بعد خبرتي | ومن يختبر حبرا يجد قلبه بحرا
وشاهد آيات شهدن بفضله | وروح المعاني بينها الآية الكبرى
لئن كان في التفسير قصدا مؤلفا | فقد حققت فيه العلوم كما تجرى
يكون حياة الناس بالروح عادة | ومن عجب موت الاعادي به حسرى
فبشراك مولانا فقد صرت حائزاً | بذكرك في الدنيا واجرك في الاخرى
فما منصف الاّ ويشكر سعيكم | فيمدحكم جهراً ويدعو لكم سرّا
ولا تخش فقد العيش بعد فكل من | يدوم روح له يعيش به الدهرا

ومن ذلك ما قاله الملا حبيب القيسي بقوله :

ان كان محمود جار الله قد جمعت | له المعاني بتفسير وتبيان
فان محمودنا الحبر الشهاب له | روح المعاني وكان الفخر للثاني

وقد اصاب هذا التفسير الجليل من جانب صاحب التعليم والارشاد السيد بدر الدين الحلبي بعض القدح كما انه اطرى تفسير ابن جرير الطبري غاية الاطراء والمدح اذ قال : وجاء الآلوسي من متأخري اهل العراق فاخذ تفسيره من تفسير الامام فخر الدين الرازي إلا انه

حذف منه كثيراً من الزوائد واضاف اليه واحسن غاية الإحسان شيئاً من اقوال المفسرين ومتقدميهم ولم يميز بين ما قوى سنده من هـذه الاقاويل وما وهى فبقى في الامر بعض لبس واشكال واضاف اليه ايضاً جملة كبيرة من تفاسير المتصوفة فلم يكتف رحمه الله بجمع تأويلات المتكلمين التي تأولوا بها القرآن للاستدلال على عقائدهم وتطبيقها على ما ادته اليه عقولهم بقاعدتهم المشهورة عندهم من وجوب تأويل النقل اذا عارض العقل حتى يرجع الى العقل فاضاف الى ذلك تأويلات المتصوفة التي حرف بها القرآن عن ظاهره الى معان لا تدل الالفاظ العربية عليها بوجـه من وجوه الدلالات المعروفة عند الناس فجاء كتابه جامعاً للطرق الثلاثة طريقة السلف وطريقة المتكلمين وطريقة المتصوفة الا أن طريقة السلف لم يتعرض فيها لبيان طرق نقلها وتمييز صحيحها وسقيمها ولذلك كان ككتب الحديث التي لا يبين فيها سند الحديث وحال رجاله كان لا تقع الثقة به سيما اذا تعارض مع غيره ولم يقع الترجيح بينها بوجه من وجوه الترجيح هذه كتب التفسير التي نقرؤها اليوم وان كان قد فاتنا كثير منها فانه لايخرج عن مضارعة واحد من هذه الكتب التي ذكرناها فلم يبق بيدنا ما يصح الاعتماد عليه والثقة به غير تفسير ابن كثير وهو الحسنة الوحيدة الخ .اهـ.

ولا يخفى ما في كلامه من التحامل على تفسير العلامة الآلوسي حيث جعله لم يميز فيه بين الصحيح والسقيم حين ذكر المنقول ، وان ذكره للاشارات الصوفية خروج عن سواء السبيل من دون مرية . والحـال ان ذكره للمنقول من نحو ما ذكره الإمـام ابن جرير الطبري وابن كثير ونحوهما من اصحاب الأثر ، وان الآلوسي من الرجال المتقنين الممحصين للروايات غير انه لا يطول بذكر الطرق والاسانيد الكثيرة وهذا هو التفسير المطلوب بالنظر الى زمننا الذي قصرت فيه الهمم .

فتفسير ابن جرير تفسير جيد من حيث المأثور ، جزاه الله خيراً وضاعف له الحسنات والأجور ، ولكن فيه تطويل بايراد الطرق العـديدة لافادة معنى واحـد لغوي ، وذلك

كإيراده سبع عشر طريقاً لافادة ان الكأس الدهاق من قوله تعالى : (وكأساً دهاقا) وهي المحملة المتتابعة وهو مجرد معنى لغوي مفهوم عند أهل اللغة لا يتعلق به حكم من حيث الحل والحرمة او من حيث اسباب النزول الى غير ذلك من الامور المهمة ، وكافادته ان المغضوب عليهم هم اليهود اطال بتعداد الطرق الى ان ملأ بها الصحيفة ، وكإفادته ان العالمين من قوله تعالى : (رب العالمين) اي رب الانس والجن روى ذلك عن ابن عباس بطرق عديدة منها عن نفسه ومنها عن تلاميذه ، ولو جرد عن الزوائد او حذفت الاسانيد لبقي نحو ثلاث مجلدات او اربع ، كتفسير ابن كثير الذي احتوى على التفسير بالمنقول الصحيح الذي هو ليس من قبيل الاطناب الممل ولا الايجاز المخل وليس كل تطوير مرغوبا عنه فايراد الكلام الكثير لافادة مطالب جديدة ومقاصد مهمة سديدة لا ملل فيه ولا رغبة عنه . وأتذكر أن الامام عبدالوهاب الشعراني ذكر في بعض مؤلفاته ان للشيخ محيي الدين ابن عربي تفسيراً للكتاب العزيز الى قوله تعالى : (وعلمناه من لدنا علما) بنحو خمسة وتسعين مجلداً وقد ذكروا ان ابا يونس عبد السلام القزويني المتوفى سنة ٤٨٣ ثلاث وثمانين واربعمائة فسر القرآن تفسيراً واسعاً في ثلاثمائة مجلد واستغرق في تفسير سورة الفاتحة وحدها وهي لا تزيد على سبع آيات سبع مجلدات ، وذكروا عن ابن شاهين أنه الف تفسيراً للقرآن في الف مجلد ومسنداً في الف وستمائة مجلد ، وقد الف الاشعري كما قال السيوطي تفسيراً في ستمائة مجلد كان موجوداً في المدرسة النظامية في بغداد .

على ان ابن جرير ليس بمعصوم اذ لم يخل تفسيره عن الروايات الواهية ، فقد ذكر قصة الغرانيق في قوله تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القى الشيطان في امنيته) الرواية الواهية التي تمجها العقول والأسماع ، ولا تقبلها الافكار السليمة والطباع ومضمونها ان الرسول عليه الصلاة والسلام لما قرأ الآيات من سورة النجم ووصل الى قوله : (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) القى الشيطان على لسانه الغرانيق العلى ، مدحاً للأصنام ، او قرأ باختياره تأليفاً للكفرة الاثام ، وذلك مناف لمقام الرسالة المشروط

فيها الامانة في التبليغ ، وشايعه على هــذه الرواية كثير من المفسرين المتقــدمين الذين لا يتفكرون ولا يتدبرون في المقامات المناسبة لعصمة الرسل لا سيما الرسول الاكرم والحبيب الاعظم، وفي طباع الناس انهم يتولعون بالقول الغريب، ويهرعون الى الشيء العجيب،وحصل من ذلك الشبهة والريبــة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بل فتحوا بذلك باب الاعتراض على المسلمين لاعداء الدين .

وذكر قصة داود مع (أوريا) بان رأى امرأته فاعجبه حسنها فارسل (اُوْريا) الى ساحة القتال ليقتل حتى يتزوجها بعد القتل ، وقد وقع ذلك ، روى ذلك بنحو سبع طرق عن السدي ووهب بن منبه وغيرهما وكلها تشتمل على تنقيص منصب النبوة والرسالة فارجع الى تفسيري الآلوسي وابي حيان ، حتى يظهر لك الفرق بالعيان .

وذكر قضية زينب ـ واعجابها النبي عليه الصلاة والسلام وهي في عصمة مولاه زيد بن حارثة والنبي يحب ان يطلقها ليتزوجها بعده ، وقد جاء بعد الطبري من هو اقل منه شهرة ورواية وانكر هذه الروايات كصاحب البحر المحيط ابي حيان في تفسيره وكذا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عليه رحمة رب البرية ، وقد جاء بعد ابن جرير بما يزيد على الف سنة وانتقد قصة الغرانيق وقضية زينب وعظم امر النبوّة بما يليق به وفسر الآيات تفسيراً يوافق المنقول والمعقول فقد صح قولهم : في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ، وقولهم في المثل السائر : كم ترك الاول للآخر .

واما انتقاد الفاضل الحلبي على ايراد الآلوسي في تفسيره الاشارات الصوفية فليس ذلك بمحله بلا مرية ، فان المعاني التي تقصدها السادة الصوفية قدس الله اسرارهم العلية ليست من قبيل التفسير حتى يلزم منه اخراج النصوص عن ظاهرها بل هو من قبيل التلميح والاشارة لتلك المعاني العالية وظواهر الآيات باقية على حالها لا تنفيها السادة الصوفية اصلاً بخلاف

تفسير اهل الالحاد فانهم يدعون ان النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنة ، وقد مرّ الكلام في تحقيق هذه القضية في صدر الكتاب فليرجع اليه .

والفاضل الحلبي لو اطلع على ما ذكره العلامة الآلوسي في الجزء الاول من تفسيره لما اعترض عليه ، ولانصف واستسلم اليه ، وانقل اليك ما ذكره وقاله ، افاض الله عليه كرمه ونواله ، بقوله : واما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الاشارات الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة وذلك من كمال الايمان ومحض العرفان لا انهم اعتقدوا ان الظاهر غير مراد اصلاً وانما المراد الباطن فقط اذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به الى نفي الشريعة بالكلية ، وحاشا ساداتنا من ذلك ، كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه اولاً اذ لا يطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن قبل احكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل ان يجاوز الباب اهـ .

وقد أورد العلامة الآلوسي بعض القصص والشواهد وقال ان الانصاف كل الانصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه ، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق اليه .

وإذا لم تر الهلال فسلم   لأناس رأوه بالأبصار

وقد يخطر في فكر الانسان من المسائل أجناس وأشكال ، تحتاج ـ للتعارض فيما بينها وللغموض فيها ـ الى دفع الاشكال ، وكثيراً ما يقع لي عند تلاوة الكتاب العزيز الاشكال بَعْدَ الأشكالُ فأراجع التفاسير الكثيرة فلا أجد شفاء لغليلي غالباً إلّا بروح المعاني ، والتفسير الذي له كثير فضل عليك ما يقضي لك الأرب ويوافيك بالطلب .

فمن ذلك قوله تعالى : (من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله) فانه لا ارتباط بين فعل الشرط وجوابه نظراً إلى الظاهر ، لم أجد جوابه في تفسير ابن جرير ولكن وجدته

في روح المعاني أجاب عن ذلك بوجوه : منها إن الجواب فأنه نزله على قلبك إما نيابة أو حقيقة والمعنى من عاداه فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لأنه نزل كتاباً يصدق الكتب المتقدمة أو فالسبب في عداوته أنه نزله عليك ، وقيل الجزاء محذوف ولايكون المذكور نائباً عنه ويقدر مؤخراً عنه ويكون هو تعليلاً وبياناً لسبب العداوة ، والمعنى من عاداه لأنه نزله على قلبك فليمت غيظاً أو فهو عدو لي وأنا عدو له .

ومثل الآية المتقدمة في الاشكال قوله تعالى : (وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) فانه لا ارتباط بين فعل الشرط وجوابه لأن علم الله السرّ وأخفى منه ثابت قبل الجهر بالقول وبعده وبدونه . وأجيب بأن قوله (فانه يعلم السر وأخفى) ليس بجواب بل هو قائم مقام الجواب أي وان تجهر بالقول فالله غني عن جهرك فانه يعلم السرّ وأخفى على ما في روح المعاني .

ومثله أيضاً قوله تعالى : (ان نَعْفُ عن طائفة منكم نعذِّبْ طائفة) . أي فلا تغتروا فالجواب محذوف أيضاً .

هذا ومن غريب الاتفاق أن المفسر المذكور وافق الفاضل الخفاجي صاحب الحاشية على تفسير البيضاوي المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي في الاسم والكنية واللقب ، فانه « محمود أبو الثناء شهاب الدين » ولموافقته له في العلم والفضل والأدب انتصر له ودافع عنه بحضرة شيخ الاسلام السيد أحمد عارف حكمت أفندي لما اجتمع به في القسطنطينية وجرى الكلام بينهما في حقه وتبين عدم الرضا عنه من شيخ الاسلام لأنه انتقد على أهاليها الكبار ، وهجاهم عند عزله عن منصب المشيخة الأسلامية فقال العلامة الألوسي : الحق بيده لأنهم حقروه وتأثر منهم ولذا أنشد :

قالوا سَقَطْتَ عَنْ رُتَبٍ … أترى الزمان بمثل ذا غلطا
قلتُ الشياطين الاثام علَوْا … ولذا الشهابُ من العلا سقطا

فقال شيخ الاسلام : أو ما يكفيه أنه جاء اسلامبول وكرّ قاضياً إلى مصر القاهرة ؟ فأجابه الألوسي بأن ذلك بالنسبة إلى بضائع فضله كرة خاسرة ، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه .

والألوسي نسبة الى (ألوس) بوزن صبور اسم رجل سميت به بلدة على الفرات قرب عانات[1] والحديثة ، قال ياقوت الحموي : وغلط أبو حامد الإدريسي إذ قال أنها بساحل بحر الشام قرب طرسوس وانما غره نسبة أبي عبد الله عمر بن حصن ابن خالد الألوسي الطرسوسي من شيوخ الطبراني وابن المقري وانما هو من ألوس وسكن طرسوس فنسب اليها . ويقال فيها إيضاً آلوسة بالمد .

وكانت ولادة صاحب روح المعاني قبيل ظهر الجمعة الرابع عشر من رمضان وذلك سنة ١٢١٧ سبع عشرة بعد المائتين والألف من هجرة من لايحيط بكماله نطاق وصف . وقد أرّخ عام ولادته بكل من شطور بيتين تراها عين الأديب لخدّ غانية الفصاحة كالغين الشاعر المجيد الأطرقجي عبد الحميد فقال :

لقد أشرق البدر السماوي من بدا   سنا نوره من مشرق لاح بالجود
بـه كمل الدين الحنيف مؤرخ   تـكلمت العليا بميـلاد محمود
١٢١٧   ١٢١٧

وكانت وفاته سنة ١٢٧٠ سبعين ومائتين والف وقد أرخ وفاته الشاعر الشهير المرحوم عبد الباقي العمري بتراكيب مختلفة منها قوله :

حور الجنان به حفّت مؤرخة   جنات روح المعاني قبر محمود

فجملة عمره ثلاث وخمسون سنة لم يعمر كثيراً فلو عمر لاستفاد الناس منه علماً غزيراً . الحمد لله على الاتمام والشكر له في البدء والختام والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام ، هذا وأرجو من الناظر أن يغض النظر عن القصور

---

(١) مدينة على ضفة الفرات اليمني مقابل راوة ، تدعى في الوقت الحاضر : عانة (مصححه) .

فيما حررته ويصفح عن الخطأ فيما قصدته وأردته وان ينظر اليه بعين الإنصاف فان الانصاف خير الأوصاف .

فعين الرضا عن كل عيب كليلة — كما ان عين السخط تبدي المساويا

إذ قد كلفت بتدريس هذا الفن ولم يكن عندي كتب الفت فيه حتى أستمد منها أو أنهج على منوالها ، وأستند اليها ، بل اعتمدت على المولى جل شأنه في جمعه وترتيبه وتهذيبه وغرابة أسلوبه وأخال أنها جاءت بما يرضي الحبيب وتقربه عين اللبيب وقد كان الفراغ في اليوم الثامن من العشر الأول من الشهر الثامن من السنة الثالثة من العقد السادس من القرن الرابع عشر من هجرة سيد البشر عليه صلوات الله وتسليماته عدد قطرات المطر وأوراق الشجر وأسأل الله أن يغفر لي ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات وقد أرختها نظماً إذ بذلك نروي ولا نظما :

هذي الخريدة أسفرت عن وجهها — كالشمس تسفر عن سناً وأشعة

مذ أسفرت مزفوفة أرختها — وبقاسم الأرزاق مأرب نعمتي

وقد أرختها قبل سنة على عزم الأكمال في تلك السنة فلم أوفق لنوع كسل اعتراني وهذا هو :

ذي منحة خذها بلا منة — واشكر ولا تعجل بتوبيخي

لما انتهت قيدتها مُنْشِئاً — تاريخها يعنى بتاريخي

٩٢٠ ١٢٤٣ = ١٣٦٣ هـ

دليل الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الأعلام

(غ)

(ف)

(ق)